MÎZÂNÜ'L-HAK İSLAMİ İLİMLER DERGİSİ,
sy. 7, 2018, s. 131-168.
Geliş Tarihi: 11.07.2018
Kabul Tarihi: 13.12.2018

المَوتُ وَمَصِيرُ الإنسانِ دِرَاسَةٌ فِي شِعْرِ المَهْجَرِ العَرَبِيّ *

المُلَخَّصُ: المَوتُ ظَاهِرَةٌ إنسانِيَّةٌ وُجِدَتْ مَعَ وُجُودِ الحَيَاةِ نَفْسِها، وقد كانَ للموتِ أَثَرٌ كبيرٌ على البَشَرِيَّةِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ والشُّعَرَاءِ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ، وقد اختَلَفَ مَوقِفُ الشُّعَرَاءِ مِنَ المَوتِ لِعَوَامِلَ عِدَّةٍ: مَذْهَبِيَّةٍ، وبِيئِيَّةٍ، ونَفْسِيَّةٍ، وقد أصبحَ التَّفْكِيرُ فِي المَوتِ مِن سِمَاتِ شُعَرَاءِ الرُّومانسيّةِ العَرَبِيَّةِ، وقد حَاوَلتُ فِي هذه الدِّرَاسةِ إلقَاءَ الضَّوْءِ على مَفْهومِ الموتِ والمَوقِفِ مِنهُ لَدَى شُعَرَاءِ المَهجَرِ الذِينَ يُمَثِّلُونَ أَهَمَّ رَوَافِدِ الرُّومَانسيّةِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ. وتَتَنَاوَلُ هَذِهِ الدِّراسةُ مَفْهُومَ المَوتِ وَالمَوقِفَ مِنهُ لَدَى شُعَرَاءِ المَهْجَرِ العَرَبِيّ، وَتَأْثِيرَ ذلكَ عَلَى مَوقِفِ هَؤلاءِ الشُّعَرَاءِ مِنَ الحَيَاةِ الدُّنيا وَمُتَعِها وَقَضَاياها، كَمَا يَتَعَرَّضُ إلى بَعْضِ القَضَايا العَقَائِدِيّةِ والفَلْسَفِيّةِ المُتَعَلِّقَةِ بالمَوتِ وَالمَبْنِيَّةِ عَلَيهِ كَقَضِيَّةِ البَعْثِ وَالخُلُودِ، وَفَلْسَفَةِ التَّنَاسُخِ والتَّقَمُّصِ، والمَعْنَى الصُّوفِيّ لِلْموتِ بِوَصِفِهِ خَلاصاً وَدُنُوّاً مِن أَنْوَارِ الله، وتُخْتَمُ الدِّرَاسَةُ بِالخَاتِمَةِ وَأَهَمِّ مَا كَشَفَتْهُ مِن نَتَائِج، مَعَ قَائِمَةٍ بِأَهَمِّ مَصَادِرِ وَمَرَاجِعِ الدِّرَاسَةِ.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّةُ: شِعْرُ المَهجر، المَوتُ، مَصِيرُ الإنْسَانِ، البَعْثُ والخُلُودُ، التَّنَاسُخُ والتَّقَمُّصُ، المَوتُ بِالمَعْنَى الصُّوفِيِّ.

Ölüm ve İnsanın Akıbeti: Arap Göç Şiiri'nde Bir İnceleme

Öz: Ölüm beşeri bir olgudur. Bizzat hayatın varlığıyla beraber ortaya çıkmıştır. Ölümün genel anlamda insanlık, özel anlamda şairler üzerinde büyük bir etkisi vardır. Şairlerin ölüm karşısındaki tutumları birkaç sebepten dolayı farklı olmuştur. Bunlar; mezhepsel (dini), çevresel ve psikolojik nedenler. Ölümü düşünmek, Arap romantik şairlerin özelliklerinden biri haline gelmiştir. Bu çalışmada ölüm kavramına ve modern Arap şiirinde romantizmin en önemli temsilcileri olan göç bölgelerin şairlerin bu kavramla ilgili tutumlarına ışık tutmaya çalıştım.Bu çalışma, ölüm kavramını ve Arap mahcer şairlerin bu kavram karşısındaki tutumlarını ele almaktadır. Ayrıca bu (ölüm olgusu)nun, söz konusu şairlerin dünya hayatı, lezzetleri ve meseleleri karşısındaki tutumlarına etkisini incelemiştir. Yine bu çalışma, ölüm ve ötesi ile ilgili olan yeniden diriliş, sonsuzluk, tenasüh felsefesi ve reenkarnasyon, ölümün bir kurtuluş ve Allah'ın nuruna yaklaşma özelliği taşıması sebebiyle tasavvufî bir anlama sahip olması gibi îtîkadî ve felsefî bazı konulara da değinmiştir. Çalışma, elde edilen en önemli neticelerin yer aldığı bir hatime ile araştırmada kullanılan kaynakların yer aldığı bir liste ile son bulmaktadır.

Abdelkarim A. M. SOLIMAN **

Anahtar Kelimeler: Arap Göç Şiiri, Ölüm, İnsanın Durumu, Diriliş ve Ebedi Yaşam, Tenasüh ve Reenkarnasyon, Ölümün Tasavvufi Manası.

Death and Man's Fate: A Study in the Immigration Arabic Poetry

Abstract: Death is ahuman phenomenon that has been existing side with life itself. Therefore, death has a clear impact on humanity in general and poets in particular. Poets attitude towards death deffered due to a number of factors, religious, environmental and psychological ones. Thinking about death had become a distinctive trait of Arab Romantic poets. In this study, I have tried to shed light on the concept of death and the attitude towards it according to immigration poets who represent the most important source of Romanticism in Arabic poetry. This study tackles the concept of death and the stance towards it by the Arab immigration poets. In addition, it explores the impact of such concept on the attitude of these poets towards life and its luxuries and issues. Moreover, it traces some philosophical and dogmatic thoughts related to death and based on it such as the theme of resurrection and immortality, the philosophy of reincarnation and metempsychosis, as well as the Sufi meaning of Death as a salvation and a re approachment to the sublimity of God.The study finishes with a conclusion that reveals the most important outcomes of the study with a bibliography of all the important resources used throughout

Keywords: The Immigration Arabic Poetry, The Death, Man's Fate, Resurrection and Immortality, Reincarnation and Metempsychosis, the Sufi Meaning of Death.

* هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مُوجَزَةٌ ومُعَدَّلَةٌ مِنْ أَحَدِ فُصُولِ مَاجِستِرِ صَاحِبِها.

** Öğr. Gör. Dr., Dokuz Eylül Üniversitesi. E-Posta: abdelkreemameen@yahoo.com – ORCID ID: https://orcid.org/0000-0003-2999-1031

المُقَدِّمَةُ

الموتُ لغزٌ حيَّر العقولَ فوقفت إزاءه عاجزةً، ذلك لما يحويه الموتُ من صورِ المتناقضات، فكُلُّ ما يعلمه الإنسانُ عنه ويؤمن به هو أنَّه واقعٌ وحقيقةٌ لم ينبسْ أحدٌ بِنُكرانِها، فالإنسانُ على رغم جحودِهِ وإنكارِهِ لوجودِ خالقِهِ لم يستطعْ أو يجرؤ على نكرانِ وجودِ الموتِ؛ لأنَّه يرى آثاره كُلَّ يومٍ بل كُلَّ لحظةٍ في ظواهر الكونِ المختلفةِ وعلى رغمِ تقدُّمِهِ العلميِّ والتِّكنولوجيّ الهائلِ واكتشافاتِهِ الطِّبيَّةِ المتواليةِ لم يستطعْ حتّى الآنَ أنْ يكتشفَ علاجًا لهذا الكائنِ والمخلوقِ المفزعِ، فهو مرضُ الأمراضِ الذِّي لا شفاءَ منه أبدا، ولا علاج ناجعا له مطلقًا ، لقد شغلَ الموتُ الفلاسفةَ والمفكرين عَبرَ العصورَ، فهو الحقيقةُ المجهولة والنِّهاية المحتومة لمصير الإنسان فى هذه الحياة المؤقَّتة، وقد عبَّر الفيلسوفُ باسكال عن إشكال الموت بقوله «إنَّ كُلَّ ما أعلمُهُ هو أنَّه قضى على الموتُ،ولكن ما أجهله أشدّ الجهلِ إنَّما هو هذا الموت نفسُهُ باعتباره شيئا لا سبيلَ إلى الخلاص منه.»[1]

وقد ارتبطت بالموت بعضُ القضايا ذات المنحى الفلسفيّ؛ منها الخلودُ فمن طبيعة الموتِ أنَّه حدٌّ فاصلٌ أو نهايةٌ لحياةٍ موقوفةٍ عليه، ومن ثَمَّ فهو يُلقي بالفكرِ إلى ما وراء هذا الحدِّ وهذه النّهاية، وهو يرتبط بالحريّة وذلك عن طريقِ الفكر الدِّينيّ الذّي يرى أنَّ الموتَ دخلَ العالمَ بسببِ خطيئةِ آدمَ التّي أدت إلى طردِهِ من عالم الخلدِ فأصبحَ لأوّلِ مرّةٍ قابلاً للفناءِ والموتِ، ولَّما كانتِ الخطيئةُ الأولى تعبيراً عن ممارسةِالإنسانِ لحريتّهِ لأوَّلِ مرَّةٍ فقد كان هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الموتِ والحريَّةِ، وهو أيضًا يرتبطُ بالخَلقِ منَ العدمِ، فكلُّ مخلوقٍ موجودٍ سيفنى ويموتُ.

وعن طريق هذه القضايا التي ارتبط بها الموتُ اختلفت نظرةُ الإنسانِ إلى الموتِ بينَ التَّرحيبِ بهِ والخوفِ منه، بين كونِهِ بدايةَ لفناءِ أو بدايةَ لحياةٍ أبديَّةٍ وبقاءٍ خالد.

وفي هذه الدراسة أحاول أن أعرض لمفهوم الموت والموقف منه ومن القضايا المترتبة عليه من خلال زُمرةٍ شعريّةٍ لها قيمتُها وبصمتُها الشعريّةُ الخَاصّةُ في الشّعرِ العربيِّ الحديثِ، وهم شعراء المهجر، فهؤلاء الشعراء تَجَمَّعت لهم من العواملِ العقديّةِ، والمذهبيّةِ، والاجتماعيّةِ، والاقتصاديّةِ ، إضافة إلى العامل الأكبر وهو هجرتهم من أوطانهم العربية إلى الأمريكيتين الشّماليّةِ والجنوبيّةِ، فقد شتتهم وقع

1 جاك شورون، الموت فى الفكر الغربى، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة وتقديم، إمام عبد الفتاح، الكويت :عالم المعرفة، 1984، 5.

بلادهم المرير فعاشوا في غربةٍ قاسية لا تُبَالي بِحالهم فتضاعفت المُعاناة، وتعددت أشكال الغربات، فراحوا يطلقون آهاتِهم في زفراتٍ شعريَةٍ مُتوَجِّعةٍ ما جعلهم بِحَقٍّ حالَةً مُمَيّزَةً في الشعر العربيّ الحديث.

ونَظَراً لِأهمِّيَّةِ هذا الشِّعرِ المَهجَرِيِّ فقد تَنَاوَلَتهُ الكَثِيرُ مِنَ الدِّرَاسَاتِ، لِكن ليست هناكَ دِرِاسَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ تَنَاولت ظَاهِرةَ المَوتِ في شعرِ المَهجَرِ، وإنّما أشارت إليها بعضُ الدّرَاساتِ التي تناولت التَّأريخَ لِشِعرِ المَهجَرِ مِثل(أدبنا وأُدباؤنا في المهجر) للشاعر المهجريّ جورج صيدح، و(أدب المهجر) للكاتب عيسى النّاعُوريّ، أو التي تناولت ظَاهِرَةً في شِعرِ المهجرِ مثل(التَّجدِيد فيي شعر المهجرِ) لأنس داوود، و(الغُربة والحَنين في شعرِ المهجر) لإخلاص فخري عُمارة، وقد حاولتُ في دِرَاسَتي هذه أنْ أَعرِضَ لِشِعرِ الموتِ، فقد شغلَ هذا البابُ مِسَاحَةً كبيرةً ومُهِمَّةً مِن شِعرِ المَهجَرِ ارتبطَت بأوطانهم ومَهاجِرهم، وتراثهم وواقِعِهم، ودينهم وفلسفتِهم.

وقد جاء عرضي بعد الخاتمةِ في خمسةِ عناصرِ رئيسيّةٍ،هي:

1- الموتُ في الشّعر العربيّ.
2- الموتُ في شعرِ المهجرِ.
3- البعث والخلود.
4- فلسفة التّناسخ والتّقَمُّصِ وعلاقتها بالموت في شعر المهجر.
5- المَوتُ بالمعنى الصُّوفيِّ، بوصفِهِ خلاصًا ودُنُوّاً من أنوارِ الله.

ثُمَّ جاءتِ الخاتمةُ، وقائمةٌ بأهمِّ المصادرِ والمراجعِ.

وقد تناولتُ تلكَ المَفاهيم وعرضَ الشعراءِ لها، مواقفَهم منها مِن خلالِ العَرضِ التَّحْلِيلِيِّ والفَنِّيّ لهذه المفاهيم لدى هؤلاء الشعراءِ من خلال طرحِهِم الشّعريّ ذَاتِهِ مُستعينًا بآراء بعض النُّقادِ، وتحليلِ ومُناقشةِ هذه الآراءِ.

وقد كانَ مَرجِعي الأوّلُ في هذا التَّحليلِ وتلكَ المُناقشاتِ هو أشعارُ الشُّعَرَاءِ أنفسِهم، لإيماني بأنَّ شِعرَ الشَّاعرِ هو الطَّرِيقَةُ المُثْلى، والوثيقةُ الصّادقةُ، والمرآةُ المُستَوِيةُ التِّي يُمكِنُ أنْ نرى الشَّاعِر بِواسطتِها، وقد أثبتت الدّراسة ذلك، فقد كان الشعرُ المهجريُّ سِجلًّا وافيًا لِمَسِيرةِ حَيَاةِ الشعراءِ، وعرضًا واضحًا وبيِّنًا لِجُمْلَةِ أفكارِهِم وقضاياهُم الشَّخْصيَّةِ والقوميَّةِ والإنسانيّةِ، وكتابًا شَامِلاً لِتَوجُّهِهِم ومُعتنقِهِم الفِكْرِيّ والفلسفيّ.

1. قضيّةُ الموتِ في الشعر العربيّ:

وللموت وقضاياه المرتبطة به نصيبٌ كبيرٌ وقسمٌ وافرٌ في الشِّعرِ العربيّ استحقَّ أنْ يأخذَ باباً كاملاً وموضوعاً مفرداً هو بابُ «الرّثاء»[2] وهو بابٌ هامٌّ لم يخلُ منه عصرٌ من عصورِ الشّعرِ، على أنَّ نظرةَ الشّاعر المعاصرِ إلى الموت تختلف عنها عند الشّاعرِ الجاهليّ. فالشّاعرُ العربيّ القديم ينظر إلى الموت نظرةَ العدو المُتربِّصِ به الذّي يتحيَّنُ الفرصةَ ليقتلَهُ من بين أسرته أو رفاقه أو قبيلته، لذا فهو دائمُ التَّوجُّسِ والخوفِ من ذلكَ العدو الذّي لا يملك القدرةَ على ردِّهِ ، كما أنَّ جُلَّ أشعار الرَّثاءِ القديمةِ تُنظَمُ تفجُّعاً وتوجُّعاً وتحسُّراً على المفقودِ وكيف استطاع هذا الموت العنيد أن يصرعَهُ وإن ظهرت بعض القصائد العربية القليلة التي يُرثي فيها الشَّاعرُ نفسَهُ قبلَ موتِهِ.[3]

لذلك حمّل الشّاعرُ العربيّ قصائدَ الرِّثاءِ الكثيرَ منَ الحكمِ والوعظِ، بينما نجدُ الموتَ عند الشّاعرِ العربيّ المعاصر[4] قد اتّخذَهُ صديقاً ورفيقاً وأحياناً حبيباً يناجيه ويسامرُهُ، وتستعذبُهُ هذه المناجاةُ، كما أنَّهُ اتَّخذَهُ مُخلِّصاً ومُنقِذاً من أثقالِ وأعباءِ هذه الحياةِ الماديَّةِ القاسيَّةِ وهو في نظرتِهِ تلك مُتأثِّرٌ بالمذاهبِ الغربيَّةِ التّي اهتمَّت بالموتِ وخاصَّةً المذهبَ الرُّومانتيكيّ والوجوديّ، يرى الدُّكتورُ عبدالرحمن بدوي أنَّ الضَّميرَ الإنسانيّ سيظلُّ مُغلقاً عليه في وحدةٍ لا يمكنُ القضاءُ عليها، وحدةٍ تَرجِعُ إلى اتّساعِ الهُوَّةِ بين ما تريده النَّفسُ، وبين الواقعِ المُؤلمِ الذّي لا يُحقِّقُهُ، والضَّميرُ الإنسانيُّ شقيٌّ أيضاً لدى الرُّومانسيين؛ لأنَّ الإنسان يصطدمُ دائماً بحواجزَ وعَرَاقِيلَ وقُوَى مُعاديةٍ تولد في الضَّميرِ عِرَاكاً باطنياً وتمزُّقاً داخليّاً، إذا انتصر الضَّميرُ في هذا العِراكِ فإنّ انتصارَهُ ليس انتصاراً واهياً ومؤقّتاً من شأنه أن يُولِدَ فيه أملاً لا حدَّ له، ولا يمكن تحقيقُهُ لأنَّه يجب أن يكونَ أملاً كُلِّيّاً في سعادةٍ كُلِّيّةٍ . فالسَّعادةُ الجزئيَّةُ ليس لها مكانٌ عند الرّوحِ الرُّومانسيّةِ، أمَّا السَّعادةُ الكُلِّيَّةُ فإنَّها لا تتحقَّقُ إلّا بإحرازِ الكُلِّ ولا يمكنُ إحرازُ الكُلِّ إلّا في حالةِ»الفناءِ المُطلقِ»وهكذا لكي يُمْحَى الشُّعورُ بشقاءِ الضَّميرِ الإنسانيّ لدى الرّوحِ الرُّومانسيّةِ يجبُ أنْ يتدخَّلَ الموتُ؛ لأنَّ الموتَ وحدَهُ هو الذّي يستطيعُ أنْ يُزيلَ هذه الهوّةَ التّي تفصلُ بين الأنا المُطلقِ والتّي هي مصدرُ شقاءِ الضَّميرِ.[5]

2 راجع فى ذلك مصطفى الشورى (الرثاء فى الشعر الجاهلى)، و(الرثاء فى الشعر العباسى)، و محمد بن حسن الزير (الحياة والموت فى الشعر الأموى)، دارالأمين للنشر والتوزيع، الرياض، 1989، و طلعت عبدالعزيز أبوالعزايم (الرؤية الرومانسية للمصير الإنسانى لدى الشاعر العربى الحديث)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981م.

3 انظر مرثية مالك ابن الريب لنفسه، جمهرة أشعار العرب، أبوزيد القرشي، تحقيق، محمد على البجاوي، القاهرة: دار نهضة مصر،981، 607.

4 راجع فى ذلك: طلعت عبدالعزيز أبوالعزايم، الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربى الحديث، 85.

5 عبدالرحمن بدوي، الموت والعبقرية ، القاهرة: مكتبة النهضة ،945 ، 6-5.

2 . الموتُ في شِعرِ المَهْجَرِ العربيّ:

أ-التَّعريفُ بِشُعَراءِ المَهْجَرِ: شُعَرَاءُ المَهْجَرِ هُم مَجموعَةٌ منَ الشُّعَرَاءِ العَرَبِ الذّينَ هَاجَوا في نِهايَةِ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وبِدَايَةِ القَرْنِ العِشرينَ إلى الأمريكيَّتَينِ مَدْفُوعينَ في هِجْرَتِهِم إلى فَقْرِ أوطَانِهِم، واحتِدَامِ الصِّرَاعِ المّذهبيِّ فِيهِ، خَاصَّةً وأنَّ كُلَّ هؤلاءِ الشُّعراءِ يَنتَمونَ إلى سوريا ولُبنانَ حيثُ الصِّرَاع الطَّائفيّ والمَذهبيّ، آمِلِينَ في عَالَمٍ جَديدٍ تَملَؤهُ الحُرِّيَّةُ، وتَسُودُهُ المُسَاوَاةُ، وتَرْتَفِعُ فِيهِ كَرَامَةُ الإنسانِ، غيرَ أنَّ هؤلاءِ الشُّعراءَ اصطَدَموا بِوَاقِعٍ مَرِيرٍ ضَاعَفَ مِن مُعَانَاتِهِم، فلا حُرِّيَّةَ وَجَدوا، ولا مَكَاسِبَ مَالِيَّةَ حَقَّقُوا.

وقد خَافَ هؤلاءِ الشُّعراءُ على أَنفُسِهِم منَ الذَّوَبَانِ في بِيئَتِهِم المَادِّيَّةِ الجَدِيدَةِ التّي لا تُلْقِي بَالاً بالرَّوحِ ولا بالمَشَاعِرِ، فأَسَّسوا بَعْضَ الجَمْعِيَّاتِ الأدبيَّةِ لِلْحِفَاظِ على هَوِيَّتِهِم، ولِلْمُشَارَكَةِ بِإبْدَاعِهِم في قَضَايا أُمَّتِهِم، ومِن أَشْهَرِ الجَمْعِيَّاتِ الأدبيَّةِ التّي أنشَأَها شُعَرَاءُ المَهْجَرِ العَرَبِيِّ، وأَهَمّها تَأثِيراً وتَوجِيهاً لِلْحَرَكَةِ الأدبيَّةِ في المَهَاجِرِ:

1 – الرَّابِطَةُ القَلَمِيَةُ بِنيُويورك في الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمريكِيَّةِ.

2 – العُصْبَةُ الأندَلُسِيَّةُ بِسَان بَاولو عَاصِمَةِ البرازيل.

ومَنْ أهمِّ شُعَرَاءِ الرَّابِطَةِ القَلَمِيَّةِ جُبران خليل جُبران، ومِيخائل نعيمة، وإيليا أبوماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، بينما من أهمّش شُعراءِ العُصبةِ الأندلسيَّةِ، رشيد سليم الخوري(الشاعر القَرويّ)، وإلياس فرحات، وإلياس طعمة(الوليد أبوالفضل)، وفوزي المعلوف، وشفيق المعلوف، ورياض المعلوف، وشُكر الله الجُرّ وغيرهم.

إنَّ الشِّعرَ المَهجَرِيَّ هو حَلَقَةٌ مُهِمَّةٌ مِن حَلَقَاتِ الشِّعرِ العَرَبِيّ الحَدِيثِ لَهُ مِيزَتُهُ الكُبرَى عَن غَيرِهِ مِن حَلَقَاتِ الشِّعرِ العَرَبِيِّ وهِي اتِّصَالُهُ المُبَاشِرُ بِثَقَافَةِ الآخَرِ وَهُو العَالَمُ الغَربِيُّ هذا الاتِّصَالُ بِالآخَرِ والتَّأثُّرِ بِهِ كَسَا شِعْرَ المَهجَرِ ثَوباً جَدِيداً رُبَّما ظَنَّهُ البَعضُ ثَوباً مُغَايراً لِثَوبِ الشِّعرِ العَرَبِيِّ ، ولكِنَّ هذا الثَّوبَ الجَدِيدَ وَخَصَائصَهُ وَخِصَالَهُ لَهُ مَا يُبَرِّرُهُ ، بَلْ وَمَا يَجْعَلُهُ مُنَاسِباً وَمَطْلُوباً لِيَتَنَاسَبَ وإنسان هذا العَصرِ، ويُوَاكِبَ حَرَكَاتِ التَّطَورِ الشِّعْرِيِّ العَالَمِي، وقد أَوْقَفَ شُعراءُ المَهْجَرِ أَشْعَارَهُم على قَضَايا الإنسَانِ، سواء أَكانت قَضَايا خَاصَّةً بِهِم وبوطَنِهِم كَقَضِيَّةِ فِلسطين، أو تَحَرُّرِ أوطانِهِم، أو حنينِهم إلى أوطانِهِم، أو قَضَايا إنسانِيَّةً عَامَّةً مِثل المَوتِ، والحِرِّيَّةِ، والتَّصوُّفِ، والاغترابِ، والفقرِ.

ب- الموتُ في شِعرِ المَهجَرِ: إنَّ شعراءُ المهجرِ كشعراء رومانسيين قد وقفوا أمام الموت موقفَينِ مُتناقضَينِ؛ موقفَ الخائفِ منه المُرتجِفِ لذكرِهِ ، وموقفَ المُرحِّبِ به المُتغنِّي له. والموقفُ الأوّل ينبعثُ من قلقِهِم الوجودِيّ. فالشَّاعرُ الرّومانسيّ شاعرٌ صالحٌ، يأملُ بتحقيق الكثيرِ منَ الأحلامِ والمطامحِ التّي لا تُحَدُّ، وهو في نفسِ الوقتِ مُيقِنٌ بتربُّصِ الموتِ وفُجَائيّتِهِ، بالإضافة إلى شعورِهِ بقصرِ عُمرِهِ، هذا الشُّعور المُتناقِضُ بين الأحلامِ والطُّموحِ اللّامُتناهي وبين قِصَرِ العُمْرِ أصابَ الشّاعرَ الرُّومانسيّ بما يُسمَّى «بالقلقِ الوجودِيّ، وهو»عنصرٌ نفسيٌّ يمتزجُ فيه الفِكرُ المُتأمِّلُ لِكُلِّ ما في الوجودِ من تناقضاتٍ بمشاعرِ الحيرةِ والتَّعجُّبِ والدَّهشةِ والقلقِ حينما يتساءلُ الشّاعرُ عن حياتِهِ ووجودِهِ وعن بدايتِهِ ونهايتِهِ.»[6]

فالشّاعِرُ يُدرِكُ أنَّ كُلَّ ما في الوُجُودِ مَصِيرُهُ الزَّوَالُ والفناءُ والتَّغييرُ، فالحَيَاةُ سَيَصْرَعُها المَوتُ، والزَّمانُ مَحْدُودٌ مُنْتَهِيٌ والكونُ يَطْفَحُ بالعدمِ، والإنسانُ ليسَ إلّا قَطْرَةٌ في مُحِيطٍ، والمَوتُ يَتَرَبَّصُ بِهِ أينما ذَهَبَ.

والمَوقِفُ الثَّاني المُرَحِّبُ بِالمَوتِ المتَغَنِّي بِهِ، يَتولَّدُ مِنَ النَّظرَةِ التَّي تَربِطُ بينَ الموتِ والحُريّةِ، حيثُ يَصِيرُ الموتُ مُحَرِّراً وَمُنْقِذاً وَمُخَلِّصاً للإنسانِ من خطاياه وآثامِهِ الدَّنيَوِيةِ، وَهِيَ نَظْرَةٌ مُتَأثِرةٌ بالفكرِ المسيحيّ والإسلاميّ، فَفي الفكرِ المَسيحيّ نَجِدُ رَبْطاً بينَ الخَطِيئةِ والمَوتِ ومِنْ ثَمَّ فالموتُ خَلاصٌ وعَفْوٌ، وفي النَّظرةِ الإسلاميّةِ نَجِدُ النَّظرةَ المُطْمَئِنَّةَ المُقِرَّةَ بحقِيقَةِ المَوتِ فهو ليسَ ذَلِكَ المَجْهُولَ الذّي يَبُثُّ الخَوفَ والرّهْبَةَ في النُّفُوسِ وَلَكِنَّهُ قَضَاءُ الله وحِكْمَتِهِ في أنْ يَعِيشَ الإنسانُ عُمْراً زَائلاً في الدُّنيا، ثُمَّ يعيشُ عمراً خالداً في الآخرةِ، كَمَا أنّ الحديثَ القرآني عَنِ الدَّارِ الآخرةِ واليومِ الآخرِ، والحكمةُ مِنَ الحَيَاةِ والموتِ قد أدّى إلى اطمئنانِ القلوبِ المؤمنةِ واسقاطِ الخوفِ والفزعِ منَ الموتِ.[7]

وقد ظهر ذلك الاطمئنانُ إلى الموتِ والدَّعوةِ إليه في الشِّعرِ الصُّوفيّ كما أنَّ هذه النَّظرةَ المُرحِّبةَ بالموتِ متأثِّرةٌ أيضاً بالفكر الرُّومانسيّ ورفضِهِ للتَّحكُّمِ المَادِيّ وقسوتِهِ على الإنسانِ، إخفاق هذا الرومانسي في تحقيقِ أحلامِهِ وطموحِهِ في الحياةِ، فالشَّاعرُ الذّي يخفقُ في تحقيقِ أحلامِهِ معَ الحياةِ، ويشعرُ انَّ كُلَّ ما شادَهُ من أحلامٍ جميلةٍ كانَ مَحْضَ سَرابٍ، يكتسبُ من إخفاقِهِ إحساسًا بالألمِ، وينشدُ معه الموتَ وحينئذٍ يُصبحُ الموتُ غايةً ينشدها الشّاعرُ بعد إخفاقِهِ في تحقيقِ تلكَ الأحلامِ، ومن هُنا يعيشُ أيامَهُ مُعذَّباً مَهمُوماً مُنتظِراً مَجِيءَ لحظةَ الموتِ.[8]

6 طلعت أبوالعزايم، الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربى الحديث، 85.

7 راجع فى ذلك: عقيدة البعث والآخرة فى الفكر الإسلامي، الإسكنرية: دارالمعرفة الجامعية، 1986، 61.

8 الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، 76.

وتُعَدُّ هذه النَّظرةُ المُغَنِّيَةُ للموتِ بالتَّرحيبِ والانتظارِ، والمُستعذِبَةُ لتكرارِ ذِكرِهِ أحدَ خصائص الشّعر العربيّ الحديثِ، وسِمةً بارزَةً في شعر الدِّيوانيينَ والمهجر و أبوللو، وخيرُ من يُمثِّلُ هذه المدارس عبدالرحمن شكرى، وفوزي المعلوف، ومحمد عبدالمعطي الهَمشَري، هذا بالإضافة إلى أبي القااسم الشّابيّ الذّى جمعَهُ تَأثُّرٌ بالمهجرِ وأبوللو، ويُعَدُّ شُكْرِي عند أحدِ الباحثينَ اوّلَ شاعرٍ رومانسيٍّ أدخلَ موضوع «عشق الموت»في الشعرِ العربي الحديثِ وأولَعَ به أشدَّ الولعِ ومزجَ أفكارَهُ عنِ الموتِ بإدراكِهِ الحِسِّيّ وانفعالِهِ ومزاجِهِ النَّفسيّ في تجاربَ شعريَةٍ رائعةٍ.[9]

أمّا عنِ الهمشري فهو كما ترى نازكُ الملائكةِ «أيّ حادثٍ يرتبطُ بإحساسِهِ لابدَّ أنْ يُذَكِّرَهُ بالموتِ.»[10]

أما الشَّابي فقد كان يواجِهُ الموتَ في كُلِّ مكانٍ[11] ومن ثمَّ فإنَّ مظاهرَ عشقِ الشّابي للموت تنتشُر عَبْرَ شعرِهِ[12] فهو يُقْبِلُ على الموتِ إقبالًا إيجابيّاً واعياً راجياً أنْ يَجِدَ في صدرِهِ الرَّاحةَ من هذا العالمِ المُظلمِ.[13]

وهو في حديثِهِ عنِ الموتِ يُحاولُ أنْ يُفلسِفَ نظرتَهُ إلى الموتِ فيراه وسيلةً للخلاصِ والتَّحرُّرِ من سجنِ الحياةِ وأوجاعِها ويراه مهداً وثيراً للمخلوقات، ويصفُه ب»الرّوحِ الجميلِ»و»المَنْبَعِ العَذْبِ»و»وطَيفِ الخُلُودِ.»[14]

وترى نازكُ الملائكة أنَّ الرَّابطةَ التّي تجمعُ الشُّعراءَ الذّين يُحبُّون الموتَ ويستمتعون بالعزفِ على أوتارِهِ هى «حِدَّةُ الإحساسِ أو القُدرةُ على الانفعالِ العنيفِ.»[15]

وقد انشغل شعراءُ المهجر بالموت وقضاياه المُتّصلةِ به من وجودٍ، وفناء، وبعثٍ، وخُلُودٍ، وهم فى تناولهم لهذه القضايا غلبت عليهم نزعتُهُم الفلسفيّةُ فكثرت تساؤلاتُهم وحيرتُهم وشكُّهم حتّى لَيُعَدَّ التَّساؤلُ والحيرةُ والشّكُّ طابعاً مميزاً للشّعر المهجريّ، فنجدُهم يتساءلون عن مجيئهم ووجودِهم في هذه الحياة، فأبوماضي يتساءلُ في حيرةٍ شديدةٍ وشكٍّ مُريبٍ في شَأنِ هذه القضايا :الوجود، والموت، والخلود، الفناء، يقول:

9 نفسه، 77.

10 نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار الآداب، بيروت: 1962، 273.

11 رجاء النقاش، أبوالقاسم الشابي شاعر الحب والثورة، القاهرة: مكتبة الأسرة، 65.

12 نعمات أحمد فؤاد، شعراء ثلاثة ،إبراهيم ناجي، أبوالقاسم الشابي، الأخطل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، 176.

13 خليفة محمد التيس، الشابي وجبران، بيروت: دار الثقافة، 1976، 103.

14 أبوالقاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002، المقدمة، 20.

15 نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، 276.

أُفَكِّرُ كَيفَ جِئتُ ؟وكَيفَ أَمْضِي عَلَى رَغْمِي؟ فَأَعْيا بالجَوَابِ وَأَذْهَبُ
أَتَيتُ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي مَجِيئي غَيرَ دَارٍ بالإيَابِ فَلِمَا
إذا كَانَ المَصِيرُ إلى التَّلاشِي وإنْ كَانَ جِئْنا وَكُنَّا في حِجَابِ ؟ فَمَا مَعْنَى
المَصِيرُإلى خُلُودٍ أُمُورٌ لا يُحِيطُ المَنِيَّةِ وَالتَّبَابِ؟ وَلَو أَمْسَى يُحِيطُ
بِهِنَّ فِكْرٌ بِكُلِّ بَابِ[16]

هذه التَّساؤلاتُ تُلِحُّ عليه كثيراً فتتشكَّلُ منها قصيدتُهُ المطوّلةُ «لستُ أدري» ومنها:

جِئْتُ لا أَعْلَمُ مِن أينَ أَتَيتُ ولَكِنْ أَتَيتُ
وَلقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِي طَرِيقاً فَمَشَيتُ
وَسَأَبْقَى مَاشِياً إنْ شِئْتُ هذا أَمْ أَبَيتُ
كَيفَ جِئْتُ؟ كَيفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقي ؟
لَستُ أَدْرِي ؟[17]

ويتابعُ فوزي المَعْلُوفِ أباماضي في عَجْزِهِ عن إيجادِ إجاباتٍ شافيةٍ عن هذه الأسئلةِ المُحيّرةِ للإنسانِ، فيقولُ:

كَيفَ أَجْلُو غَدِي وأُدْرِكُ أَمْسِي وإلى أَيِّ عَالَمٍ سَوفَ نَفْضِي؟ بَعْدَ
هَلْ حَيِيتُ قَبْلَ الوُجُودِ ؟وَهَلْ نُبْعَثُ هُو الرَّدَى ؟وَفِي أَيِّ أَرْضٍ؟ كُلُّ حُكْمٍ
كُنْهُ الحَيَاةِ مَازَالَ سِرّاً فِيهِ يَؤُلُ لِنَقْضٍ أنا حِرْتُ
كَيفَ أَجْلُو غَدِي؟وَأُدْرِكُ أَمْسِي كَيفَ يَومِي سَيَمْضِي؟[18]

ويقولُ نَسِيبُ عَريضة على نَغَمَةِ الشَّكِّ:

شَرِبتُ كَأْسِي أَمَامَ نَفْسِي وَقُلتُ يا نَفْسُ مَا المُرَامْ ؟ فَلنَغْمُرِ
حَيَاةُ شَكٍّ وَمَوتُ شَكٍّ الشَّكَّ بِالمُدَامْ[19]

وشاعرُ المهجرِ رغم حيرتِهِ وشَكِّهِ الذّي لا يُحَدُّ فقد آمن إيمانَ اليَقِينِ لوقُوعِهِ وحقيقَتِهِ فهو ينظرُ إلى كُلِّ ما في الكونِ، يرى يدَ الموتِ تُفْنِيهِ وتُزِيلُهُ، فكُلُّ ما يراه مآلُهُ إلى الزَّوالِ والفَنَاءِ فذلكَ هو القَدَرُ

16 زهير ميرزا، ديوان إيليا أبي ماضي شاعر المهجر الأكبر،بيروت: دار اليقظة العربية، 89
17 إيليا ابوماضي، الجداول، دار العلم للملايين، بيروت: ط9، 1967، 139.
18 فوزي المعلوف (ديوان)، بيروت: دار الريحاني، 1957، 121، من مطولة شعلة العذاب.
19 نسيب عريضة، الأرواح الحائرة، نيويورك: مطبعة جريدة الأخلاق، 1946، 83.

المَحْتُومُ على المخلوقاتِ مُنذُ الأزلِ، وما كان لشاعرٍ من شعراءِ المهجرِ أنْ يُمَارِيَ في هذه الحقيقةِ وقد أعربَ إلياسُ فَرَحَاتٍ عن هذا اليَقِينِ في إحدى رُبَاعِيَّاتِهِ قائلاً:

لَمْ أَدْرِ كَالمَوتِ رَبّاً صَادِقاً نَفَذَتْ وَكُلُّ أَحْكَامُ سُلْطَانِهِ فِي كُلِّ سُلْطَانِ والمَوتُ
رَبٌّ إلى البُرْهَانِ مُفْتَقِرٌ لَمْ يَفْتَقِرْ يَوماً لِبُرْهَـانِ[20]

والشاعر المدنى يرى أن الحياةوهم وحلم بينمكا الموت هو اليقظة والحقيقة، فبقول:

مَا العَيشُ إلّا حُلُمُ النَّائمِ وَمَا المَوتُ إلّا يَقْظَةُ النَّائـمِ[21]

ورشيدُ أيوب لا يَحْزَنُ بانتهاءِ عُمْرِهِ وانقضاءِ حَيَاتِهِ في هذه الدُّنيا؛ لأنَّه سينتقلُ بالموتِ إلى حياةٍ أخرى، فيقول:

مَا ضَرَّ نَفْسِي والحَيَاةُ مَضَـتْ فإلى حَيَاةٍ غَيرِها تَمْضِـي[22]

كذلكَ أعربَ عقلُ الجُرِّ عن قُصُورِ العَقلِ في إدراكِ حقائق الوجودِ حتّى إنَّ كُلَّ حقيقةٍ تَنْبَهِمُ أمامَ الإنسانِ إلّا الموتَ تلكَ الحقيقةُ الصّارِخةُ، فالإنسانُ جاهلٌ لا يفقَهُ شيئاً في هذا الكونِ فهو:

لَيسَ يَدْرِي مَصِيرَهُ وَظَلامُ الشَّكِّ سَأَلَ مَاحٍ لَدَيهِ نُورَ اليَقِينِ
النَّفْسَ أَينَ كُنْتِ، وَمَاذَا مُدْرِكٌ فِي غَدِي إذا حَانَ حِينِي
وَأَنَا مَنْ أَنَا ، أَحَشَرَةُ تُرْبٍ قَدْ سَمَتْ وَارتَقَتْ خِلالَ القُرُونِ
أَمْ أَنَا نَفْثَةٌ مِن الله ضَاعَتْ؟ أَأَعِيشُ فِي ثَنَايا النَّسِيمِ بينَ الغُصُونِ وَأُزْجِي
السِّنِينَ أَضْرِبُ بِالجَهْلِ لا أَرَى فِي الظُّنُونَ تُلْوَ الظُّنُونِ لَيسَ
الحَيَاةِ غَيرَ ظَـلامٍ يَجْلُوهُ غَيرُ نُورِ المُنُـونِ[23]

على أنّ هذا الإيمانَ بحقيقةِ الموتِ كثيراً ما أصابَ شاعرَ المهجرِ بالفزعِ والهلعِ من هذا المجهولِ الذّي ينتظره، لقد أقلقَهُم الفكرُ الدّائمُ في حقيقةِ الموتِ والفناءِ، وأقضَّ مضاجِعَهُم، وأذهبَ الكَرَى من عيونِهم، وأحالَ مُتَعَ الحياةِ وملذَّاتِها إلى غُصَصٍ، هذه المُعاناةُ الحَادَّةُ والرَّهبةُ الهائلةُ من لحظةِ الموتِ، جعلَتْهُم كثيراً ما يتساءلون عن الحِكْمَةِ مِن مَجِيئِهِم إلى هذه الحياةِ حتّى أنَّ شفيقَ المَعْلوف يرى نفسَهُ شَبحاً بين أشباحٍ، وأنَّ على هذا الشَّبحِ أنْ لا يأملَ ولا يطمحَ في هذه

20 إلياس فرحات، رباعيات فرحات، سان باولو: 1954، 62.
21 ديوان الشاعر المدنى، قيصر سليم الخوري، دمشق: مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1966، 81.
22 رشيد أيوب، أغاني الدرويش، نيويورك: المطبعة السورية الأمريكية، 1982، 43.
23 ديوان عقل الجر، 37.

الدُّنيا؛ لأنَّ مصيرَهُ الموتُ والفناءُ، يقول:

أَنَا مَنْ أَنَا شَبَحٌ يَتَخَطَّرُ بَينَ أَشْبَاحِ هذا الزَّمَانِ
أَيَعْرِفُنِي بَينَها غَيرُ نَزْرٍ يَسِيرُ ،فَحِتَامٌ أَبْنِي الأَمَانِ
هَمُّ النَّاسِ سَيلٌ أَكَادُ أَكُونُ بِهِ قَطْرَةً لا تُرَى بِالعِيَانِ
فَهَبْنِي طبعتُ عَلَى كُلِّ قَـلْبٍ فَمَاذَا أُؤمِلُ والقَـلْبُ فَانٍ[24]

هذا الشَّبحُ الذِّي يراه شفيقٌ في الإنسانِ، يراه شُكْرُ الله الجُرِّ ظِلًّا عابراً فوقَ الثَّرى، سُرعَانَ ما يَطويهُ هذا الثَّرى، يقول:

إنَّما الإنسانُ ظِلٌّ عَابِرٌ فَوقَ الثَّرَى
شبَحٌ يُضْحَكُ كَالمَجْنُونِ يَمشِي القَهْقَـرَى[25]

ويُعَدُّ الشَّاعرانِ شفيقَ المعلوف، وشُكْرُ الله الجُرّ من أكثرِ شُعراءِ المهجرِ خوفاً وفزعاً منَ الموتِ، لذا ظهرت نزعةُ الحزنِ والشَّجنِ في حديثِهما عنِ الموتِ والفناءِ. فالموتُ عندَ شفيقِ المعلوف كما يرى أحدُ الباحثينَ كان قضيةَ شفيقٍ الأساسيّةَ التّي من أجلِها رفضَ الحياةَ وهو في مطلعِ حياتِهِ وعلى دعائمِها بنى فلسفَتَها.[26]

ويُرجعُ باحثٌ آخرُ خوفَ شفيق وفزعَهُ منَ الموتِ إلى الحياةِ واللَّذَّةِ والاستمتاعِ الحِسِّيّ فيقول:»إنّ حُبَّ شفيق لحياةِ اللّذّةِ والاستمتاعِ الحِسِّيّ، وميلَهُ للمادِيَّةِ بطبيعةِ تكوينِهِ النَّفسيّ جعلَهُ يَفْرقُ منَ الموتِ ويرتَاعُ سَواء في صُورَتِهِ العاديّةِ موتُ الجسدِ وفناءُ الحياةِ او بصورتِهِ المعنويّةِ الجُمُودُ والخِواءُ وحياةُ الرّوحِ السّاكنة.»[27].

يقولُ شفيقُ مُرتَعِباً من حقيقةِ الموتِ الذّي يغتالُ نفوسَهُم ويَطِيشُ بأمَانِيهم وأحلامِهِم:

هُوَ المَوتُ أَورَثْنِيهِ جُدُودِي وَيَغْتَالُ فَلازَمَنِي مُقْلِقاً مَرْفَدِي أَمَانٍ
نَفْساً فَيَخْنُقُ مِنها هُوَ المَوتُ تَقضِي بِلا مَوعِدٍ لِيَومِ
يَقْتَادُنا فِي الْهُـودِ اللُّحُودِ يَداً بِيَـدِ[28]

وهو في أسطورَتِهِ»عَبْقَر» يُقَدّمُ وهو يتجوَّلُ بينَ القبورِ رثاءً دامعاً يفيضُ باللَّوعةِ لفتاةٍ جميلةٍ صغيرةٍ لازالُ مُعْجَبُوها يَحلمون بجمالِها، يَعْتِي عليها الموتُ وتُلقَى في ظُلُماتِ القبرِ لِتَمْتَصَّ الحشراتُ رحيقَ

24 شفيق المعلوف، الأحلام، بيروت: 1923، 27.
25 شكرالله الجر، بروق ورعود، بيروت: لبنان، دارالثقافة، طبعة أولى، 1971، 154.
26 صابر عبدالدايم ، أدب المهجر، القاهرة: دار المعارف، ط1، 1993، 443.
27 إخلاص فخري عمارة، شعر شفيق المعلوف دراسة فنية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة: 189.
28 شفيق المعلوف، الأحلام، 29.

الحياةِ منَ الشِّفاةِ المُتوارِدَةِ بعد أنْ كانت تمتصُّها قُبُلاتُ الغرام. فالموتُ فناءٌ كاملٌ للجسدِ المُتَفَجِّرِ بالحيويّةِ، للقلبِ الجَيَّاشِ بالحُبِّ والذِّكرياتِ والشَّجنِ، غير أنَّ هذا كُلَّهُ قد انطفأَ بِقُدومِ الموتِ.

كَانَ لَنَا شُعَاعُ أَحْدَاقِنا فَأَقْبَلَ اللَّيلُ و أَطْفَـاه[29]

هذا اللّيلُ هو الموتُ هادمُ اللّذّاتِ ومُفَرِّقُ الجَماعاتِ.

جُلّاسُنا مَضَوا و أَعْرَاسُنا حَجَبَها المَوتُ وَغَشَّاها[30]

غير أنَّ شفيقَ المعلوف مع تَقدُّمِ العُمرِ وبُلُوغِ النُّضجِ أيقنَ أنَّ الخوفَ من الموتِ أشدُّ ألماً وتعذيباً للإنسانِ من الموتِ، وأسرعُ لضياعِ كُلِّ لذَّةٍ وذهابِ كلِّ مُتعَةٍ، عند ذلك عقدَ تَصَالُحاً وتهادُناً مع الموتِ حتّى يستطيعَ أنْ يستمتعَ بحياتِهِ وتطيبَ له مَلذّاتُها فهو يُنهِي حلمَهُ الثّاني بمقطوعةٍ شاعريّةٍ يُوشِّيها الزهَرُ النَّاضِر ويفوحُ بين حروفِها شذى العطرِ.

ألا لَيتَ أَنْوَارَهُ كَفّنَتْ بَقَايَا مِنْ شَبَحِي العَابِرِ عَلَى
لِأُدْفَنَ بَينَ زُهُورِ الرِّيَاضِ ضِفَّةِ النَّهرِ الزَّاخِرِ
يُجَدِّدُ رَبِّي فِي كُلِّ عَـامٍ نَضَارَةَ مَدْفَنِي الزَّاهِـرِ

هذه العقليّةُ النَّاضجةُ بدأتْ ترى في الموتِ مرحلةَ انتقالٍ ومُجَرَّدَ تغييرٍ في الشَّكلِ المَاديّ لكنَّ الجوهرَ يظلُّ خالداً .فالشَّاعرُ الذِّي غابَ بجسدِهِ لازالَ حاضراً في القلبِ.

يَرَاهُ فِي لَمْعَةٍ يَرَاهُ مِنْ لَمعِ الغُرُوبِ
فِي الدَّمْعَةِ يَرَاهُ فِي غُصَّةِ القُلُوبِ
مَطْرُوحاً عَلَى زَهْـرَةٍ تَأَجَّجَتْ أَلْوَانُها بِالطُّيــوبِ[31]

وهو حينما يُنَاجي زوجَتَهُ التّي رحلتْ نرى نغمةً عذبةً رقيقةً في تعامُلِهِ مع الموتِ حيثُ برى الموتَ مُعْتِقاً للإنسانِ من أسرِ المَادّةِ حيثُ تَتَنَاجى الأرواحُ وتتعانقُ فيقطفُ النُّجومَ وتتغيَّرُ المُتَعُ الحِسِّيَّةُ إلى مُتَعٍ روحيَةٍ في ذلك العالمِ الأُخْرَويّ.

29 شفيق المعلوف، عبقر، 1936، 92.
30 شفيق معلوف، عبقر، 93.
31 شفيق المعلوف، سنابل راعوث، بيروت: دار مجلة شعر، 961 ، 235.

جَفْنَاكِ تَلاقَيَا لِغَيرِ فِرَاقٍ صِرْتُ
أَقْرَبَ إلى تَقْطِيفِ النُّجُومِ مِنْكِ يَومَ كُنْتُ عَلَى
الأَرْضِ ذِكْرِاكِ مُتْعَةٌ لِروحِي ، وهِي
تُرَافِقُنِي فِي يَقْظَتِي مَا أَشْوَقَنِي إلى رُؤْيَتِكِ فِي الحُلُمِ ، وَلَكِنّنِي
مُنذُ فَارَقْتِنِي فَارَقَتْنِي أَحْــلامــي[32]

وأمّا الشَّاعرُ شُكْرُ الله الجُرّ فقد كان شبحُ الموتِ ماثلًا في نفسِهِ دائمًا تلك النَّفس المُحبّة للحياةِ المُقبلَة على مُتَعِها وملذَّاتِها، هذا مِمّا ساقَ الشَّاعرَ إلى رُعبِهِ وفزَعِهِ وبُغضِهِ للموتِ، ليس هذا فحسب، بل نجدُ انَّ حُبَّ الشَّاعرِ للدُّنيا والتَّمسُّكَ بها جعلَهُ يُنكِرُ بعضَ الحقائقِ المُتعلِّقةِ بالموتِ مثل الخُلُودِ والبعثِ، لذا رأيناه يتبنَّى الفلسفةَ الأبيقوريةَ والكأسَ الخيّاميّةَ[33] في انتهابِ كُلِّ الملذَّاتِ فهو لا يَجِدُ للحياةِ معنىً مع الموتِ، ولا جدوى لهذا الوجودِ مادام مآلُهُ العدمَ:

نَأْتِي إلى الدُّنيا وَنَنْثَنِي مِنْ دُونِ غَايَـهْ
ماذا نُفِيدُ مِنَ الوُجُودِ إذنْ وَمَا هَذِي الرُّوَايَهْ
مَادَامَ غُولُ المَوتِ يَلْتَهِمُ البِدَايةَ والنِّهَايَهْ[34]

إنَّ الموتَ عند الشَّاعرِ غُولٌ يَغتَالُ النُّفُوسَ، ويَخنِقُ الأماني، ويترصَّدُ للإنسانِ مُنذُ ميلادِهِ، انظر كيف يُصَوِّرُ لَحنَ الموتِ وصورَتَهُ المُفزِعَةَ التّي تَقصِفُ الأعمارَ وتُمزّقُ الأجسادَ دونَ عَودَةٍ:

أَبُنَيَّ دَعْ حِمَى الهُمُومِ قَدِيمَها وَجَدِيدَها
وَهَوَاجِسَ الأَفْكَارِ تُوقِدُ فِي الصُّــدُورِ وَقِيدَها
وَاسمَعْ رِيَاحَ المَوتِ تَعْزِفُ لِلْحَيَاةِ نَشِيدَها
فَتُرِيكَ أَعْمَارَ الأَنَامِ قَصِيرَها وَمَدِيدَهـا
صُوَراً يُمَزِّقُها الفَنَاءُ ولا أَرَاكَ مُعِيدَهـا[35]

فالشَّاعرُ يُنكِرُ البَعثَ، ولا شَكَّ أنَّ في نُكرَانِ البعثِ دافعاً إلى التَّمسُّكِ بالدُّنيا والتَّمتُّعِ بملذَّاتِها، وقد كرّرَ الشَّاعرُ نظرَتَهُ في أكثر من مَوضِعٍ، يقول:

32 شفيق المعلوف، ستائر الهودج، سان باولو، البرازيل: 1975، 143.
33 ظهرت هذه الفلسفة فى شعر أبي ماضي ولكن على نحو إيجابي دافع للإنسان إلى التطلع والتفاؤل لا إلى البلادة والتشاؤم.
34 شكرالله الجر، أغاني الليل، بيروت: دار الثقافة، 1961، 134.
35 شكر الله الجرّ، أغاني الليل، 58.

مَادَمَتُ قَيدَ الشَّكِّ لا قَبَسَ يُضِيءُ ظَلَامَ ذِهْنِي
فَلأَبْقَ مَا بَقِيَتْ لِيَ الدُّنيا عَلَى جَهْلٍ وَغَبْـــــنِ
فَالبَعْثُ لَو مَحَّصْتَهُ أُسْطُورَةٌ مِن صُنْعِ جِـنِّ
سِرُّ البَقَاءِ بِأَنْ أَعِيشَ عَلَى وَتِـرٍ وَدَنٍّ[36]

وكما أنَّ شُكْرَ الله الجُرّ أنكرَ البعثَ أنكرَ كذلك الخُلُودَ، ومن ثَمَّ على الإنسانِ أن يغتنمَ حياتَهُ في هذه الدُّنيا فليتمتَّعْ بملذَّاتِها وليَلْهُ بصفوِها وجمالها بدلاً منَ التَّكدُّرِ بذكرِ فنائها وتَرَقُّبِ خُلُودِها.

لا شِيءَ يا ابنَ الأرضِ يَضْمَنُ لِلْنُّفُوسِ خُلُودَها
فاسمعْ رِياحَ المَوتِ تَعْزِفُ لِلْحَيَاةِ نَشِيدَهـا
وَخُذْ الحَيَاةَ كَمَا تَدُورُ مُغَرِّداً تَغْرِيدَهـا
فاليومَ تَمْنَحُ وَصْلَها وغَداً تَبِيعُ صُدُودَهـا[37]

ونجدُ عندَ شُكْرِ الله الجُرّ النَّظرةَ العابثةَ بالحياةِ والضَّجرَ والسَّأمَ منَ الكِفَاحِ و الجِهَادِ المُتواصِلِ فكُلُّ ما يحرزُهُ الإنسانُ من تقدّمٍ وما يكنزُهُ من مالٍ وضِيَاعٍ وكُلُّ ما يحقِّقُهُ من مَجدٍ مآلُهُ القفرُ والفناءُ. فعلامَ إذن العناءُ والشَّقاء مع هذا الفناءِ.

ماذا يُفِيدُ الإنسانُ من دُنْيَاهُ إنْ بَلَغَ الرَّغَابا ؟
إنَّ جَمْعَ الأَمْوَالِ أَكْدَاساً يَضِيقُ بِهَا حِسَابا ؟
مَادَامَ مِن دُنْيَاهُ طَيفاً زَائراً يَبْغِي الإيَابـا
مَادَامَ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ وَمَا حَوَى يُسَمَّى تُرَابـا
مَادَامَ خَاتِمَةُ المَطَافِ بِأَنْ يَذُقَّ المَوتُ بَابـا[38]

وبجانبِ شفيقِ المعلوفِ وشُكْرِ الله الجُرّ وجدنا شعراءَ آخرين يخافون الموتَ حرصاً على بَهجَةِ الحياةِ، ورغبةً في التَّزوّدِ من مفاتِنِها، يقول زكي قُنْصُل مُرْثِياً نفسَهُ وشبابَه:

36 شكر الله الجر، أغاني الليل، 35 .
37 شكر الله، أغاني الليل، 58.
38 شكرالله الجر، أغاني الليل، 134.

أَكَذَا سَتَسْلِبُنَا الشَّبَابَ يَدُ اللَّيَالِي الحَائِـرَهْ
وَتُبَعْثِرُ الأَيَامُ آمَالَ الشَّبَابِ الزَّاهِـرَهْ
وَتعْبَثُ فِي أَحْلامِها الغُرِّ الفَوَاتِنُ سَاحِـرَهْ
أَكَذَا سَتَحْرِمُنا النَّضَارَةَ و الأَمَاني السَّاحِـرَهْ[39]

ويَقِفُ الشَّاعرُ المَدَنِيّ مُدْمِعاً ومُرثياً للإنسانِ أمامَ حقيقةِ الموتِ التّي تَتَرَقَّبُ مِيلادَ الإنسانِ لتلفَّهُ وتَطْوِيَهُ في أكفانِ الموتِ:

كُلُّ وَلِيدٍ رَهْنُ نَابِ الرّدَى — كَلُقْمَةٍ فِي قَبْضَةِ الصَّائِمِ
والمَرْءُ قَدْ تَسْبِقُ أَكْفَانَهُ — أَقْمَاطُهُ فِي مَهْدِهِ النَّاعِمِ
مَا الدَّمْعُ مَسْفُوحاً عَلَى رَاحِـلٍ — أَحَقُّ مِنْ دَمعٍ عَلَى قَـادِمِ[40]

وتَتَساوَى عندَ الشَّاعرِ رياضِ المعلوفِ الأشياءُ عندَ الموتِ، ويتحوَّلُ كُلُّ جمالٍ في الحياةِ إلى صورةٍ مَقلُوبَةٍ لواقعِ الموتِ الأليمِ تُشيرُ إليه وتُوحِي به.

كُلُّ هَذِي الحَيَاةِ عِنْدِي لَيْلٌ وَغِنَاءُ — لَيسَ فَرْقَ بَينَ المَسَاءِ والصَّبَاحِ زَفْرَةٌ مِنْ
الصّدَاحِ ما هُوَ إلَّا وَالنَّدَى مَا تَرَونَهُ — حَشَاشَةِ الصّدَاحِ دَمْعَةُ
كَخُمُورٍ وَالوُرُودُ التّي تَرَونَ — الفَجْرِ طَي خَدِّ الأَقَاحِ عَلَى
ثُغُـوراً — صَدْرِ الرِّيَاضِ بَعْضُ الجِـــرَاحِ[41]

وأبو ماضي ذلك الشَّاعرُ الذَّي ضربَ كثيراً وعزفَ على أوتارِ التَّفاؤلِ وتَغَنَّى بالطَّبيعةِ وجمالِها ومباهِجِها ودعا إلى التَّمتُّعِ بملذَّاتها ومُتَعِها، نراه تَتَسرَّبُ إلى نفسِهِ رهبةُ الموتِ فيخاطبُ زوجَهُ «دوروثي» في تَسَاؤُلٍ يَحْمِلُ الحَيْرةَ والشَّكَّ في هذه الحقيقةِ المُفزعةِ.

أَكَذَا نَمُوتُ وَتَنْقَضِي أَحْلامُنَا وَتَمُوجُ — فِي لَحْظَةٍ وإلى التُّرَابِ نَصِيرُ
دِيدَانُ الثَّرَى في أَكْبُـدٍ — كَانَتْ تَمُوجُ بها المُنَى وتَمُـورُ؟

39 صابر عبدالدايم ، أدب المهجر، 442.
40 ديوان الشاعر المدنى، 81.
41 رياض المعلوف، الأوتار المتقطّعة، القاهرة، المطبعة المصرية، بدون تاريخ، النشيد الثالث، غير مرقم.

وتَكثرُ شكوكُ أبي ماضي في فلسفةِ الموتِ حيثُ تتابعُ أسئلتُهُ وتتلاحقُ مُعَبِّرَةً عن حيرتِهِ الشَّديدةِ أمام الموتِ، يقول:

إنْ يَكُ المَوتُ قَصَاصاً أيّ ذَنْبٍ لِلْطَّهَارَةْ
وَإذَا كَانَ ثَوَاباً أيّ فَضْلٍ لِلْدَّعَارَةْ
وإذا كانَ وَمَا فِيهِ جَزَاءً وَخُسَارَةْ
فَلِمَ الأسماءُ إثْمٌ وَصَلاحٌ ؟ لَسْتُ أَدْرِي[42]

والشَّاعرُ نُدرَةُ حَدَّاد يَشغَلُهُ ذلك الموتُ الرَّهيبُ، ويرى الإنسانَ جاهلاً أمام هذه القضايا المَصِيريّةِ المَحتُومَةِ على الإنسانِ، فهو أعمى وإنْ كان بصيراً؛ لأنَّ بصرَهُ يعجزُ عن إدراكِ حقائق الأمورِ وبواطنِها، وتُلِحُّ عليه فكرةُ الخلودِ والفناءِ، فيقدِّمُ مجموعةً منَ التَّساؤلاتِ حولَ القضيتينِ تُبرِّزُ حيرةَ الشَّاعرِ وفزعَهُ منَ الموتِ، ومن هنا كان اختيارُ عنوانِ ديوانِهِ ب»أوراقُ الخريف«لِما يَحمِلُ من دلالةٍ على الذُّبُولِ وقُربِ الفناءِ، يقول:

وبعدَ هذا جَالَ في خَاطِرِي وأينَ مَسْأَلَةُ المَوتِ الرَّهِيبِ الخَطِيرْ
نَمضِي كُلُّنا بعدَهُ وأينَ أَلِلْفَنَاءِ أَمْ لِلْخُلُودِ المَصِيرْ؟
مُوسى مَن قَضَى عُمْرَهُ وأينَ عِيسى يُكَلِّمُ اللهَ العِلِيّ القَدِيرْ ؟
ابنُ الإلهِ الذّي والمُصطَفَى الهَادِي كَانَ لَنَا بِالسِّلمِ أَقْوَى بَشِيرْ؟
النَّبِي الذّي وهل تَفِي التَّورَاةُ فِي وَعْدِها دَانَ لَهُ كِسْرَى وَرَبُّ السَّرِيرْ؟
وهل لِمَن آمنَ مُلْكُ السَّمَا وَيَصْدُقُ الإنجِيلُ فِيما يُشِيرْ
أَطَلْتُ تَفْكِيرِي فَلِمْ أَسْتَفِدْ وَلِلْذّي أَخْطَأَ حَرُّ السَّعِيرْ
وَكُنْتُ فِي فِكْرِي وَفِي يَقْظَتِـي وكان ما أَمَلْتُ أمراً عَسِيرْ كما أنا
لا فَرْقُ أَعْمَى بَصِـيرْ[43]

وتُلِحُّ على الشَّاعرِ فكرةُ الخُلُودِ، ومصيرُهُ بعدَ إفناءِ الوجودِ، فهو لم يصل بعد إلى إجابةٍ شافيةٍ تُذهِبُ خوفَهُ منَ الموتِ الذّي يَذهَبُ بوجودِهِ إلى حيثُ لا يعلمُ، وهو يرى أنَّ العقلَ والكتبَ المُقدَّسةَ لم تُقدِّم ما يَروِي ظمأَهُ في هذه المسألةِ، يقولُ مُخاطِباً زهرةً زابلةً، يُمَنِّيها ويُغبطُها بالرّجُوعِ والازدهارِ إذا ما حلَّ الرَّبيعُ، بينما يرى نفسَهُ لا تَعُودُ الحياةُ إليها:

42 إيليا أبوماضي، الجداول، 154.

43 إلياس فرحات، أوراق الخريف، نيويورك: مطبعة طربيا، 1941، 154.

فَسَتَرْجِعِينَ ، وَإِنْ ذَبُلَتِ ، مَعَ الطَّبِيعَةِ نَامِيه
أَمَّا أَنا . . مَازِلْتُ أَجْهَلَ ما يَحِلُّ غَداً بِيـه
لا العقلُ أَرشَدَني ولا كُتُبُ الدِّيَانَةِ كَافِيــَه[44]

3 . البَعْثُ وَالخُلُودُ:

شغلت قضيةُ الخلودِ والبعثِ شعراءَ المهجرِ فمنهم من آمنَ بها وهؤلاء كانوا منَ الصِّنفِ الذّي رحّبَ بالموتِ وعانقَهُ عِناقَ المُحِبِّ، ومنهم من شكَّ فيها إلى درجةِ إنكارِها، وهم بنُكرَانِهم لقضيةِ الخلودِ وشكِّهم فيها يمكنُ أنْ تُضمُّ أشعارُهم إلى جُوَارِ هذا السَّابقِ الذّي قِيلَ خَوفاً منَ الموتِ ورُعباً منه، و حُبّاً في الحياةِ وتمسُّكاً بمُتَعِها ومَلَذّاتِها، فليسَ إنكارُ الخُلُودِ إلّا دعوةً إلى التَّمتُّعِ بمباهجِ الدُّنيا ومُتَعِها، وإذا كانَ الشَّاعرُ نُدرَةُ حَدَّاد شَكَّ في مسألةِ الخُلُودِ ولم يصل إلى إجابةٍ شافيةٍ فيها، نجدُ أنَّ هناك بعضَ الشُّعراءِ تَميَّزوا بالجُرأةِ الشِّعريَّةِ، والتَّحرُّرِ الفِكريّ أعلنوا صراحةً في شعرِهم إنكارَهُم لقضيّةِ خلودِ الإنسانِ وبعثِهِ وهم: شُكْرُ الله الجُرّ، وإلياسُ فرحات، وإيليا أبوماضي. وقد تميَّزَ كُلّ من أبي ماضي وشُكْر الله الجُرّ بالتَّأثُّرِ بالفلسفةِ الأبيقوريّةِ الخيّاميّةِ التّي تدعو إلى انتهابِ المَلَذَّاتِ.

فشُكْرُ الله الجُرّ بجانبِ أشعارِهِ الذّي ذكرناها سابقاً في خوفِهِ منَ الموتِ، وتمسُّكاً بالحياةِ ورغبةً في التَّمتُّعِ بطيِّباتِها وملذَّاتِها، نراه في سبيلِ ذلك يُنكِرُ الخُلُودَ والبعثَ، ويراهما خُدعَةً يُنادِي بها الغُلاةُ الذّين يصروفننا عن اللّذائذِ والمُتعِ، يقول في قصيدتِهِ «الظَّمأُ الأكبر»:

حَبِيبِي تَمَتَّعْ بِكُلِّ جَمِيلٍ ... وَكُلِّ شَهِيٍّ وَكُلِّ جَدِيد
فَكَيفَ لَعَمْرِي نَجِئُ الوُجُودَ ولا ... ولا نَتَمَلَّى جَمَالَ الوُجُودِ
نَتَمَنَّى صُنُوفَ اللَّذَائِذِ ... بينَ الكُؤوسِ وبينَ النُّهُودِ
إذا كانَ سِرُّ البَقَاءِ التَّمَلِّي ... مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَفِيمَ الهُجُودِ
وإنَّا لَفِي مَهْرَجَانِ الحَيَاةِ ... شَبَابٌ يُغَنِّي وَدُنْيا تَجُودِ
فَمِنْ شرعَةِ الحُسْنِ أنْ نَجْتَنِيَهُ ... كَمَا يَجْتَنِي النَّحْلُ شَهْدَ الوُرُودِ
ولا يَخْدَعَنَّكَ قَولُ الغُلاةِ وَأَنَّا ... بِأَنَّ وَرَاءَ الوُجُودِ وُجُودِ
نَعُودُ لِدُنْيا الشَّــقَا ... وَنُكَفِّرُ عَمَّا مَضَى مِنْ جُحُـودِ[45]

44 إلياس فرحات، أوراق الخريف، 93.

45 شكرالله الجر، أغاني الليل، 98.

وعلى هذا الدَّربِ من الرّيبِ والإنكارِ يُتابعُ شُكْرُ الله الجُرّ مسألةَ البعثِ، فهو يتساءلُ في قصيدتِهِ «مَعمِيّاتٌ وطَلاسِمُ « فيقول:

أَيّ مَعْنَى لِلْمَوتِ إنْ كانَ للأَرْ أيّ وَاحِ بَعْثٌ مُقَدَّرٌ بَعْدَ حِينِ؟
مَعْنَى لِلْبَعْثِ إنْ كُنْتَ لا تَـدْ رِي مَعَ البَعْثِ مَصْدَرَ التَّكْوِينِ؟[46]

وفي قصيدتِهِ «البَعْثُ» يرى البعثَ أسطورةً من صُنْعِ الجِنِ:

فالبَعْثُ لَوْ مَحَّصْتَهُ أُسْطُورَةٌ مِنْ صُنْعِ جِنِّ[47]

وإلياسُ فرحات يقعُ تحتَ سيطرةِ الشَّكِّ والحيرةِ في حقيقةِ الموتِ والحكمةِ منه، يقول:

إنَّ في المَوتِ وَالحَيَاةِ سِرًّ أَعْجَزَ الأَنْبِيَاءَ شَرْحاً وَوَصْفا
ا كُلُّنا يَشْرَبُ المَنِيَّةَ مَا عَاشَ كَيفَ فهذا عَبّاً وذلكَ رَشْفا
نَأْتِي وكَيفَ نَمْضِي وَمَا الغَا يَةُ مِنْ شَمْعَةٍ تُضَاءُ وَتُطْفَا ؟[48]

ويقول في رثاءِ أحدِ أصدقائِهِ مُخاطِباً إيّاهُ تحتَ التُّرابِ، مُبدِياً حيرتَهُ وتساؤلاتِهِ:

قُلْ مَا رَأَيتَ وَمَا نَرَى وَاشرَحْ وَلا تَعْتِبْ لإلْحَاحِي بالاستِنْطَاقِ
أَهُنَاكَ أَرْوَاحٌ تَحُسُّ بِمَا هُنَا أَفَعَاقِلُونَ أَمْ كُلُّ مَا زَعَمُوهُ مَحْضُ نِفَاقِ
المُطْمِعُونَ نُفُوسَهُم كُنَا رِفَاقًا فِي بِتَوَاصُلٍ تَحْتَ الثَّرَى وَعِنَاقِ؟
الحَيَاةِ فَهَلْ لَنَا مَا غَايَةُ أَنْ نَلْتَقِي بَعْدَ البِلَى كَرِفَاقِ؟
الدُّنْيا وَمَا تَبْغِيهِ مِن أَسْرٍ لأَنْفُسِنا وَمِنْ إطاقِ؟[49]

وتَلِحُّ عليه فكرةُ أنَّ جهلَهُ بالموتِ وما يكونُ بعده هو كُلُّ ما يُخيفُهُ منَ الموتِ، فهو لم يصل إذن إلى التَّأكُّدِ من بعثِهِ وخلُودِهِ، يقول:

وَمَا كَانَ هَذَا المَوتُ شَيئاً لَو أَنَّنا وَقَدْ نَمُوتُ وَنَدْرِي مَا الذّي بَعْدَنا يَجْرِي فَيَا
زَعَمُوا أَنَّ الرَّدَى بَانَ سِرُّهُ بُعْدَ هَذَا الزَّعْمِ عَنْ ذَلِكَ السِّرِّ[50]

46 شكرالله الجر، أغاني الليل، 115 .
47 شكرالله الجر، أغاني الليل، 35.
48 إلياس فرحات، مطلع الشتاء، القاهرة: 1967، 62.
49 إلياس فرحات، الخريف، سان باولو: 1954، 238.
50 نفسه، 229.

كما يقولُ في شَكٍّ وسُخريةٍ منَ البعثِ:

وَإنْ تَسْأَلْ وَرَاءَ المَوتِ مَاذَا وَرَاءَ المَوتِ أُسْمِعُكَ الجَوَابا[51]

وأبو ماضي شاعرُ التّفَاؤلِ الأكبرِ في المهجرِ كثيراً ما تَزَاحَمَت على عقلِهِ أسئلةٌ عن مَنْشَئِهِ وموتِهِ وبعثِهِ وخُلُودِهِ، فلم يستطع عقلُهُ أمامَ هذه الطَّلاسِمِ الكُبرى إلّا أنْ يقدِّمَ إجابَتَهُ المشهورةَ «لستُ أَدْرِي».

على أنَّ أبا ماضي كان له رأيٌ في مسألةِ الخُلُودِ والبعثِ كرّرَهُ في أكثرِ من موضعٍ، فهو يرى أنَّ مصيرَ الدُّنيا الزَّوالُ والفناءُ، وأنّه لا خُلُودَ لاحدٍ فوقَ هذا الثَّرى.

خَلِّ الغُرُورَ بِمَا لَدَيكَ فَإنَّما دُنْيَاكَ زَائلَةٌ وَنَفْسُكَ فَانِيةْ
لَو أَنَّ حَيّاً خَالِداً فَوقَ الثـَّرى مَا مَاتَ «هَرونَ» وَزَالَ «مُعَاوِيةْ»[52]

ثُمَّ نراه يُنكِرُ الموتَ إنكاراً رهيباً:

لا خُلُودَ تَحْتَ السَّمَاءِ لِحَيٍّ فَلِمَاذَا تُرَاوِدُ المُسْتَحِيلا؟[53]

ليسَ هذا فحسب بل يَتَعَدَّى ذلك، فهو يرى أنَّ مُجَرَّدَ التَّفكيرِ في مسألةِ الخُلُودِ معناه الوقوعُ في الخطأِ:

غَلِطَ القَائلُونَ إنَّا خَالِدُونَ كُلُّنا بَعْدَ الرّدَى هَيٌّ بنُ بَي
إنَّمَا القَولُ بِأنَّا لِلْخُلُودِ فِكْرَةٌ أَوْجَدَها حُبُّ البَقَاء
إذا كُنْتَ لا تَسْتَطِيعُ الخُـلُودَ فَعِشْ بَينَنَا أَثَراً طَيّـبا[54]

ويقولُ في موضعٍ آخر ساخراً من مسألةِ خُلُودِ الإنسانِ:

إنِ تَكُنْ لِلْخُلُودِ ذَاتُكَ فِي الدُّنْيا فَمَاذَا الأَمْرُ الذّي تَهْوَاه
وَإذَا صِرْتَ غَيرَ شَخْصِكَ فِي الآخِرَةِ فِي فَهَذَا الفَنَاءُ الذّي تَخْشَاه
التُّرَابِ الذّي تَدُوسُ عَلَيـهِ أَلْفُ دُنْيَا وَعَالَمٍ لا تَـرَاه[55]

51 إلياس فرحات ، الرباعيات، 133.
52 زهير ميرزا، ديوان أبي ماضي، 823.
53 زهير ميرزا، ديوان أبي ماضي، 90.
54 زهير ميرزا، ديوان أبي ماضي، 91.
55 إيليا أبوماضي، الجداول، 103–104.

واتّباعاً لرفضِ أبي ماضي لمسألةِ خُلُودِ الإنسانِ نراه يرفضُ البعثَ ويتشكَّكُ في كونِ الإنسانِ يُبْعَثُ ثانيةً بعدَ الموتِ، يقول في طلاسِمِهِ، تلك السِّلْسِلَةِ المُتّصلَةِ الحَلَقَاتِ منَ التَّساؤلاتِ الشّاكَّةِ والمُتحيّرةِ في بعضِ مظاهر وصورِ الكونِ:

أَوَرَاءَ القَبرِ بَعْدَ المَوْتِ بَعْثٌ وَنُشُـورُ
فَحَياةٌ فَخُلُودٌ ، أَمْ فَنَاءٌ فَنُـشُورُ
أَكَلامُ النَّاسِ صِدْقٌ ، أَمْ كَـلامُ النَّاسِ زُورُ
أَصَحِيحٌ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَدْرِي؟ لَسْتُ أَدْرِي
. . .
إنْ أَكُنْ أُبْعَثُ بَعْدَ المَوتِ جُثْمَاناً وَعَقْـلا
أَتُرَى أُبْعَثُ بَعْضاً أَمْ تُرَى أُبْعَثُ كُـلّا
ثُمَّ هَلْ أَعْرِفُ بَعْدَ المَوتِ ذَاتِي ؟لَسْتُ أَدْرِي
. . .
يا صَدِيقِي لا تُعَلِّلني بِتَمْزِيقِ السُّتُـــورِ
بَعْدَمَا أَقْضِي فَعَقْلِي لا يُبَالِي بِالقُشُـورِ
إنْ أَكُنْ في حَالَةِ الإدرَاكِ لا أَدْرِي مَصِيرِي
كَيفَ أَدْرِي بَعْدَما أَفْقِدُ رُشْدِي؟ لَسْتُ أَدْرِي[56]

وما ذلك إلا رعبٌ وفزعٌ، وخوفٌ منَ الموتِ الذّي يقتلعُ الإنسانَ من حياتِهِ ومُتَعِهِ وَيُفَرِّقُ بينه وبين أهلِهِ وأحبَّتِهِ، إلى عالمٍ مجهولٍ تعجزُ العقولُ البشريّةُ عن استكناهِ أسرارِهِ وفَكِّ رموزِهِ وطلاسِمِهِ، يقول أبوماضي في جهلِ العقولِ البشريّةِ ووقوفها عاجزةً قاصرةً أمامَ هذا السِّفرِ الغَامِضِ:

وَزَنْتُ بِسِرِّ المَوتِ فَلْسَفَةَ الوَرَى فَشَالَتْ وَكَانَتْ جَعْجَعَاتٍ بِلا طَحْنٍ كَأَكْثَرِهِم
فَأَصْدَقُ أَهْلِ الأرضِ مَعْرِفَةً بِهِ فَذَا جَهْلاً يَرْجُمُ بِالظَّنِ وَذَاكَ كَهَذا
مِثْلُ هَذَا حَائرُ اللُّبِ عِنْدَهُ لَيسَ مِنهُ عَلَى أَمْنٍ عَلَى كَثْرَةِ
فَيَالَكَ سِفْراً لَمْ يَزُلْ جَدّ غَامـضٌ التَّفْصِيلِ فِي الشَّرحِ وَالمَتْـنِ[57]

56 إيليا أبوماضي، الجداول، 156–157.

57 إيليا أبوماضي، الخمائل، القاهرة: الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، 2004، 128–129.

والموتُ عندَ أبي ماضي مأساةُ الوجود. فالحياةُ وجودٌ نازعٌ إلى الموت. يقول الدُّكتورُ السّعيدُ الوَرَقِيّ « الموتُ في وجدانِ الشّاعرِ وعقلِهِ على نحوٍ ما تكشِفُ أشعارُهُ هاجسٌ مُخيفٌ لَوَّنَ كُلَّ وجوهِ الحياةِ، فأصبحَ يراه في كُلِّ شَيءٍ في الظَّلامِ الذّي يعقبُ النُّورِ، والذُّبُولِ الذّي يلاحقُ النُّمُو، والتَّلاشِي الذّي يَحِفُّ بأجنحةِ الزُّهُورِ المُحِقّةِ.»[58]

وقد نتجَ من فكرِ أبي ماضي الدّائمِ في الموتِ وحيرتِهِ في فكِّ طلاسِمِهِ، وخوفِهِ وفزعِهِ منه، أن سقطَ تحتَ أسرِ الفلسفةِ الأبيقوريّةِ والكأسِ الخيّاميّةِ وظهورِ النَّزعةِ العبثيَةِ اللّاهيةِ اللّامُبَاليةِ التّي تقومُ على الإحساسِ باللاجَدْوَى فهو يرى شبحَ الموتِ أمامَهُ في كُلِّ مظاهرِ الحياةِ:

حتّى إذَا أَسْفَرَ وَجْهُ اليَقِينِ ... رَأْيتَهُم كَالوَهْمِ شَيئًا كذاب
دُنْيَا الوَرَى لَيلٌ وَصُبْحٌ مُبِينٌ ... وَلَيْسَ فِي دُنْيَاكَ إلّا الضَّبَاب
ما لاحَتِ الأشجَارُ لِلنَّاظِرِينَ ... إلّا رَأْيتَ شَبَحَ الفاسِ
وَلا سَمِعْتَ الكَأْسَ ذَاتَ الرَّنِينِ ... إلّا سَمِعْتَ حُطْمَةَ الكأسِ
مَسَخَتْ فِي عَينِي لَونَ النَّهَارِ وَمَاتَ ... لَمَّا لَمَحَتِ اللَّيلَ بِالمَرْصِدِ
فِي أُذُنِي لَحْنُ الهِــزَارِ ... لَمَّا سَبَقَتِ الصَّمْتَ لِلْمُنْشِــدِ[59]

وقد قامَ الأستاذُ جورجُ دِيمِتْرِي سليم بإحصاءٍ كَمِّيٍّ لمادةِ «موت» للوقُوفِ على موقفِ أبي ماضي من اليقينِ بالموتِ أو الشَّكِّ فيه، وانتهى إلى أنَّ فكرةَ الموتِ لازمت الشَّاعرَ طَوالَ حياتِهِ؟[60]

بهذا نصلُ إلى أنّ مِن بين شعراءِ المهجرِ مَن خَشِيَ الموتَ وخافَ منهُ وارتعدَتْ فرائصُهُ لذكرِهِ، وهؤلاء كانوا في خوفِهِم صِنفَينِ، صنف خاف الموتَ وفزعَ منه لحبِّهِ للحياةِ ورغبتِهِ التَّمتُّعِ بمُتَعِها والتَّلَذُّذِ بملذَّاتِها، والموتُ عندهم هو هادمُ اللّذّاتِ ومُفَرِّقُ الأحبّةِ، وعلى رأسِ هذا الصّنفِ شفيقُ المعلوف، وشُكْرُ الله الجُرّ، وزكي قُنصُل، وصنفٌ ثانٍ خافَ الموتَ لا للموتِ ذاتِهِ، بل من القضايا المُتّصلةِ بالموتِ من خُلُودٍ أو فناءٍ، فقد كان لنزعتِهِم الفلسفيّةِ ووساوسِهم وحالةِ الشَّكِّ التَّي اعترتهم أنّهم لم يصلوا بَعْدُ إلى مصيرِ الإنسانِ بعدَ الموتِ. أهناكَ بعثٌ فحياةٌ خالدةٌ بعدَ الموتِ، أم أنَّ هذا الموتَ هو الفناءُ النَّاهي لحياةِ الإنسانِ القصيرةِ ولا حياةَ بعدَها، وعلى رأسِ هذا الصِّنفِ أبوماضي، و نُدرَةُ حَدَّاد، ووإلياسُ فرحات، على أنّ هؤلاء الشُّعراءَ الذّين خافوا الموتَ وفزعوا منه

58 إيليا أبوماضي، الخمائل، المقدمة بقلم د سعيد الورقي، 12.

59 إيليا أبوماضي، الخمائل، 87.

60 راجع ديمتري سليم (أبوماضي: دراسات عنه وأشعاره المجهولة)، القاهرة: دار المعارف، 1977، 28–29.

عادوا وصالحوه، بل ونادوه نداءَ الأحبَّةِ والعُشَّاقِ؛ لأنَّهُ تَحَوَّلَ عندَهم من عدوٍ إلى صديقٍ، ومن فَاتِكٍ ومُهلِكٍ إلى رحيمٍ ومُنقِذٍ، ومن مُقَيِّدٍ ومُستَعبِدٍ إلى مُخَلِّصٍ ومُحَرِّرٍ. هذا التَّغيُّرُ كان له أسبابُهُ التّي ستتبيّنُ وتتضحُ مع تناولِنا للموتِ عند الفريقِ الثّاني من شعراءِ المهجرِ الذّي رحّبَ بالموتِ ونادى به مُخَلِّصاً ومُحَرِّراً ومُعْتِقاً من هذه العبوديّةِ الماديّةِ والجسديّةِ التّي ضاقَ بها.

نستطيعُ أنْ نقولَ أنّ شِعْرَ المهجرِ شِعرُ مُعَانَاةٍ، فقد عانى الشَّاعرُ المهجريُّ الغربَةَ بنوعيها: المكانيّةِ والرّوحيّةِ، وعانى الفقرَ، وعانى الظُّلمَ والاستبدادَ، وعانى قسوةَ الماديّةِ وفظاعتَهَا في مهجرِهِ، هذه المُعَاناةُ القاسيةُ على نفسِهِ المُرهَفَةِ وعاطفتِهِ الفَيَّاضةِ وروحِهِ الطَّاهرةِ دفعته إلى محاولةِ الهروبِ والخَلاصِ من حياتِهِ، فلم يجد خيراً منَ الموتِ مُريحاً ومُنقِذاً من هذه الحياةِ التَّعيسةِ الشَّقيّةِ، يقولُ الشَّاعرُ المَدَنِيّ:

لَمْ أَدْنُ مِنْ سَبَبٍ أَمُدُّ لَهُ يَدِي يَا ... مُتَنَاوِلاً إِلَّا وَأَبْعَدَهُ القَضَا
مَانِعَ اللَّذَّاتِ جُدْ بِأَلَذِّهَا مَاذَا ... وَامْنَعْ فُؤَادِي مَرَّةً أَنْ يَنْبُضا
أَرْجُو أَنْ أُلاقِيَ فِي غَدٍ تَبّاً ... غَيرَ الّذي لاقَيتُهُ فِيمَا مَضَى
لِعَيشٍ لا تَرَى نَفْسِي بِـهِ ... لولا خُطُوطُ الشَّيبِ شَيئاً أَبْيَضـا[61]

فالشَّاعرُ يُفضِّلُ الموتَ على الحياةِ التّي ذاقَ خلالها مَرَارَةَ الحِرمَانِ وقسوةَ المُعَاناةِ، ويسعدُ بالشَّيبِ لأَنَّهُ يُقَرِّبُهُ منَ الموتِ، يقول:

هو العَيشُ يَمْشَي بِنا لِلْمُنُونِ كَرِهْتُ ... وَتَمْشِي المُنُونُ بِنَا لِلأَبَدْ
الحَيَاةَ فَلَو عَادَ لِي وَمَنْ لَمْ ... صِبَايَ تَمَنَّيتُ لَو لَمْ يَعُدْ
يَذُقْ فِي صِبَاهُ النَّعِيمَ وَرُبَّ شَقِيٍّ ... رَأَى الشَّيبَ أَفْضَلَ مِمَّا فَقَدْ
بِعَهْدِ الشَّبَـابِ ... لَدُن بَلَغَ الشَّيْبَ مِنهُ سَعـدْ[62]

والشَّاعرُ جُورجُ صُوَايا يُرَحِّبُ بالموتِ، ويدعو النّاسَ إلى استقبالِهِ ولقائهِ في هَشَاشَةٍ وابتسامٍ، ونبذِ الحياةِ المَلِيئةِ بالشَّقَاءِ:

أَيُّها الواجفُ مِنْ طَيفِ المَمَاتِ ... يَنْشدُ الغِبْطَةَ فِي طُولِ البَقَاء
ليسَ لولا الموتُ في الكونِ حَيَاةٌ إنّ ... فَتَوَجَّهْ صَامِتاً نَحْوَ السُّكونِ
في طُولِ البَقَاءِ طُولُ الشَّـقَا ... فَانبُذِ العيشَ وَرَحِّبْ بِالمَنُـونِ[63]

61 قيصر سليم الخوري، ديوان الشاعر المدني، 70.
62 قيصر سليم الخوري، ديوان الشاعر المدني، 61–62.
63 محمد عبدالغني حسن، الشعر العربي فى المهجر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1955، 64.

ويمل الشاعر عقل الجر من حياته ويتمنى الموت قائلا :

مل من عيشه ملال السجين وتمنى ورود حوض المنون[64]

لقد ضاقَ شاعرُ المهجرِ بالحياةِ، وبَرِمَ من شَظَفِها وكيدِها، وغلبت عليه نَزعَةُ اليأسِ والتَّشاؤمِ، هذا إلى عجزِهِ عن تحقيقِ أمانيهِ وطُمُوحِهِ، فأخذَ يُلَوِّحُ للموتِ مُهَلِّلاً ومُرَحِّباً بقدومِهِ، فيه ترتاحُ الأجسادُ وتُعْتَقُ الأرواحُ، يقول الشَّاعرُ حُسني غُراب:

يَا أَيُّها البَاكِي عَلَى رَاحِلٍ نَجَا مِنَ الدُّنْيَا وَمِن خَطْبَها
هَلّلْ لِمَنْ ضَاقَتْ بِهِ بُقْعَةٌ فَآثَرَ البُعْدَ عَنْ قُرْبِها
وَافرَحْ لِنَفْسٍ يَمَّمَتْ مَوطِناً تَلْقَى بِهِ المَاضِي من صحبها
مَا أَرْحبَ القَبْرُ عَلَى ضِيقِهِ وَرَاحَةُ وَأَضْيقَ الدُّنْيَا عَلَى رَحْبِها
الأجسَادِ لا تُرْتَجَى وَالرّوحُ لا مَادَامَتِ الأَرْوَاحُ فِي رَكْبِها
تَخْلُصُ مِن قَيدِهـا إلّا إذا عَادَت إلى رَبِّها[65]

ويُعَدُّ الشَّاعرُ فوزي المعلوف عندي هو شاعرُ الموتِ الأكبرُ بيَن شعراءِ المهجرِ، فعلى رغمِ قِصَرِ حياةِ الشَّاعرِ فإنَّه أوفى الموضوعَ حَقَّهُ، حيثُ شغلَ الموتُ بقضاياه؛ الفناءِ، والعدمِ، والخُلُودِ لُبَّ الشَّاعرِ واستحوذَ على قلبِهِ فَصِرنا نرى خُيُوطَ الموتِ ورُسَلَهُ تَنبعِثُ مع كُلِّ بيتٍ من أبياتِهِ وهذا يعودُ إلى حِدَّةِ إحساسِ الشَّاعرِ بالموتِ وانفعالِهِ العنيفِ به، ولا نُبالِغُ إذا قُلنا أنَّ فوزي المعلوف وجَّهُ جُلَّ طاقاتِهِ الشِّعريّةِ وقُوَاهُ النَّفسيَةِ في تناولِهِ للموتِ، على أنَّ هذا التَّوجيهَ العنيفَ للطَّاقات الرّوحيَةِ والنَّفسيَّةِ من الشَّاعرِ أدَّى بِهِ إلى «أنْ يستنفذَ قُوَاهُ الرّوحيَّةَ والشّعوريَّةَ في بضعِ سنينَ، ثمَّ يقف لاهِثاً فَجْأةً ويضطرُ إلى أنْ يموتَ.»[66]

كان انفعالُ فوزي بالموتِ هو أوّلُ طريقِ الموتِ «لأنّ رصيدَ الإنسانِ من الطَّاقةِ العاطفيَةِ محدودٌ بحيثُ إذا بالغَ في صَرفِهِ انتهى إلى «إفلاسٍ» انفعاليٍّ مُبَكِّرٍ وهذا الإفلاسُ هو المُؤَدِّي إلى الموتِ.»[67]

وفوزي المعلوف في تناولِهِ للموتِ مَرَّ بثلاثةِ مَرَاحِل:

المرحلةُ الأولى: خافَ فيها الموتَ وارتعدَ منه، ورأى شَبَحَهُ في كُلِّ صُورَةٍ يراها.

64 عقل الجر، ديوان عقل الجرّ، 36.
65 عمر الدقاق، شعراء العصبة الأندلسية، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 273.
66 نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، 279.
67 نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، 280 .

بُرْعُمَ الدَّهْرِ مَا وُجِدتَ لِتَبْقَى بَلْ لِيَمْضِيَ بِكَ الخَرِيفُ
هَذِهِ حَالُنا ، خُلِقْنا لِنَشْـقَى وَلِتَقْضِيَ بنا الحُـتُوفُ[68]

هذا الهَولُ منَ الموتِ والفَزَعُ منه جعلَهُ يعتقدُ أنّ الموتَ إفناءٌ للجسدِ والرّوحِ.

كُلُّ هَذِهِ الحَيَاةِ وَهْمٌ وَهَذَا الرَّسْمُ وَهْمٌ وَمَا أَنا غَيرُ وَهْمِ
غَيرُ أَنَّ الرُّسُومَ تَبْقَى طَوِيـلاً وَأَنا أُمْحَى بِروحِي وَجِسْـمِي[69]

وهو على رغمِ تَحقِيرِهِ الدَّنيا وشَقَائِهِ فيها مازالَ يرى الموتَ عدواً يُحَارِبُهُ، يقول:

نَصِيبُكَ مِن هذا الوُجُودِ مَصَائبُ وَدَاءٌ تُقَاسِيهِ وَمَوتٌ تُحَارِبُهْ
تُسَرُّ بِمَولُودٍ وَتَأسَى لِرَاحِلٍ وَطَالِعُهُ رَهْنُ الفَنَاءِ وَغَارِبُهْ
لَعَمْرُكَ إنَّ العَيشَ صَفْقَةُ خَاسِرٍ إذا وُزِنَتْ لَذَّاتُهُ وَمَتَاعِبُهْ
وَتَقْضِي سِنِي العُمْرِ سَبَباً لِمَطْلَبٍ فَتُقْضَى ولا يُقْضَى الذّي أنت طَالِبُهْ
فَمَا أَحْقَرَ الدُّنيا وَأَشْقَى نَزيلُـها وَمرْجِعُهُ هذا الثَّرَى وَغَيَاهِبُـهْ[70]

ومثلُ هذا جاء في قصيدته «الشَّبحُ الهَائمُ»[71] وهو يرى أنّ في الموتِ استعباداً، حيث يقودُ الموتُ الإنسانَ إلى قَبرِهِ مُجبَراً، يقول:

أنا عبدُ الحَيَاةِ وَالمَوتِ أَمْشِي مُكْرَهاً مِن مُهُودِها لقبوره[72]

وهو من أجلِ ذلكَ رَفَضَ الزَّوَاجَ وحَارَبَهُ، ونَعَى على الأُمّهاتِ إنجابَهُنَّ الأطفالِ فَهُنَّ يُلقين بهم إلى حيثُ الشَّقاءِ والبَلاءِ والفَنَاءِ.

يَتَمَنّى نَقْضَ الزَّوَاجِ مِنَ النَّاسِ فَلا يَجْبَلُونَ أو يَلِدُونا
يَلْعَنُ الأُمَّ تُكْثِرُ النَّسْلَ لِلرّغْبَةِ فِي النَّسْلِ ثُمَّ تَشْقِي البَنِينا
تَحْمِلُ الطِّفْلَ في حَشَاها شُهُوراً ثُمَّ تُلْقِيه لِلْعَذَابِ سِنِينـا[73]

68 مناهل الأدب، بيروت: عدد 33، 53.
69 البدوي المُلثّم، شاعر الطيارة، القاهرة: دار المعارف، 1953، 46.
70 ديوان فوزي المعلوف، 37.
71 صموئيل عبدالشهيد، فوزي المعلوف سيرته وأدبه وفنه، بيروت، مؤسسة نوفل، ط1، 1971، الملحق، 8.
72 البدوي الملثّم، شاعر الطيارة، 46 .
73 صموئيل عبدالشهد، فوزي المعلوف سيرته وأدبه وفنه، الملحق، 8.

المرحلةُ الثَّانيةُ: نراه يُرَحِّبُ بالموتِ مُخَلِّصاً منَ آلامِ الدُّنيا ومآسيها، يقول:

مَا وَلِيدُ الآلامِ غُيرُ أَسِيرٍ والرّدَى وَحْدَهُ يُحَرِّرُ أَسْرَهْ
ضَاقَتِ الأَرْضُ فِي الحَيَاةِ عَلَيهِ وَكَفَنُهُ فِي المَوتِ أَضْيقُ حُفْرَةْ[74]

وصارَ فوزي لا يعبأ بالموتِ، ولا يَخْشاهُ، فقد وصلَ إلى جوهرِ الخُلُودِ.

إنَّني شَاعِرٌ بِروْحِي ، فَوقَ ال إيهِ موتِ تَمْشِي بِكُلِّ حُبِّي وَبُغْضِي فَاقْضِ
يا مَوتُ لَنْ تَمَسَّ خُلُودِي مَا شِئتَ لَسْتَ وَحْدَكَ تَقْضِي
فَأنا خَالِدٌ بِشِعْرِي عَلَــى رَغْ مِ زَمَانٍ عَنْ قِيمَةِ الشِّعْرِ يُغْضِـي[75]

ثُمَّ يُنَاجي الشّاعرُ الموتَ مُنَاجَاةَ الصُّوفيَّةِ الذّين يَرَونَ الموتَ مُعْتِقاً للرّوحِ من أسرِ الجسدِ ورغائبِهِ، يقول:

والآنَ يا موتُ اقتَرِبْ مُعْتِقُ يَا حَبَّذا بِالمُوثِقِ المُعْتِقِ
نَفْسِي مِن قُيُودِ الأسَــى مُوثِقُ جِسمي في المَدى الضَّيقِ[76]

المرحلةُ الثَّالثةُ: نراه يَسْتَعْجِلُ المَوتَ، مُحَبِّذاً الانتحارَ ودَاعِياً إليه، يقول في قصيدةِ « المُنْتَحِرُ»:

كَبِّرِي يا قُبُورُ جَاءَكِ ضَيفٌ كَمْ هو غَيرُ الأحياءِ في أَطْوَارِهِ
تُوَارِي القُبُورُ حَيّاً وَكَمْ يَمْ يَذْهَبُ شِي عَلَى الأَرْضِ مَيِّتٌ لَم تُوَارِهِ
النَّاسُ مُرْغَمِينَ إلى القُبُ شَاعِرٌ لا يَرَى ورِ وَقَدْ جَاءَهُ بِمِلءِ اختِيارِهِ
الحَيَاةَ سُوَى لَـي لٍ بَهِيمٍ والموتُ مِن أَسْحَـارِهِ[77]

ورشيدُ أيوب تُحِبُّ نفسُهُ سُرعَةَ مُرُورِ الزَّمَانِ حتَّى تَحِين لحظةُ المَمَاتِ التّي تَرحَمُهُ من هذا الشَّقاءِ والعَنَاءِ الدُّنيَوِيّ، يقول:

هِيَ النَّفْسُ تَاهَتْ بِرَحْبِ الفَضَا وَهَا وَحَلَّتْ بَأَرْضِ الشَّقَا وَالهُمُومْ وَتَنْظُرُ
هِيَ تَعْنُو لِحُكْمِ القَضَا وَتَرْجُو فِيما مَضَى وَرَاءَ الغُيُومْ
انقِضَاءَ الشَّقَا بِالسَّفَـرْ لِذَاكَ تُحِبُّ مُرُورَ الزَّمَـانْ[78]

74 البدوي الملثّم، شاعر الطّيّارة، 41
75 البدوي الملثّم، شاعر الطَّيَّارة، 44
76 فوزي المعلوف، ديوان فوزي المعلوف، 117 .
77 فوزي المعلوف، ديوان فوزي المعلوف، 35.
78 رشيد أيوب، أغاني الدرويش، 69.

وهو يُصَرِّحُ ويُعْلِنُ عَدَمَ خَوفِهِ واكترَاثِهِ بِالموتِ؛ لأَنَّهُ يُؤمِنُ بِالخُلُودِ وَالبَعْثِ،يقول:

دُقَّ يا قَلْبِي فإنَّ جَاءَ الأوانُ سَوفَ وَدَعَانا اللهُ مِنْ بَعدَ المَمَاتِ
نَحْيا عِندَهُ طُولَ الزَّمَـانِ فلَنَا بَعدَ الرّدى أَلْفُ حُيـَاةٍ[79]

وهو في قصيدتِهِ «الوَرَقَةُ المُرْتَعِشَةُ «يُخَاطِبُ الوَرَقَةَ مُرْتَئِياً أَنَّ الأمنَ والأمانَ الحقيقيَّ يكونُ معَ الموتِ لذلكَ يَحُثُّ مَطَايَاهُ وُصُولاً إلى المَوتِ، حيثُ الخلاصِ مِنَ الشَّقَاءِ والعَذَابِ:

أَبِنتَ الرَّبِيعِ إلى المُلْتَقَى ولا فلا أَمْنٌ إلّا بِحُضْنِ التّرابِ
تَسْأَلِي السِّرَّ في ذِي الحَيَاةِ أنا فَفِي الأَبَدِيَّةِ فَصْلُ الخِطَابِ
فِي خَرِيفِي أَحُثُّ المُطَى بِوَادِي الشَّقَاءِ وَبِيَدِ العَـذَابِ[80]

وفي قصيدتِهِ «جَمَالُ المَوتِ» نراه يَصِلُ مَرْتَبَةَ الصُّوفِيَّهِ الذّينَ يُحِبُّونَ الموتَ ويُؤثِرونَهُ على الحياةِ، فبِهِ تَزُولُ كُلُّ الحُجُبِ وتَنْقَشِعُ كُلُّ الضَّبَابَاتِ التّي تَحْجِبُ أنوارَ الله، وهو في قصيدتِهِ تلكَ يَقْتَفِي أثرَ ابنِ الفَارِضِ، وخَمْرَةِ مَحَبَّتِهِ، يقول:

دَعُونِي أَصْحَابِي أَنَامُ بِغِبْطَةٍ وَروحِي فَقَدْ سَكِرَتْ نَفْسِي بِخَمْرِ المَحَبَّةِ وَمِنْ
مِن هَذِهِ اللَّيَالِي قد اكتفت أَلا فَاترُكُونِي هَذِهِ الأيام كَلَّتْ وَمَلَّتِ
الآنَ وَحْدِي بِمَعْزَلٍ وَسِيروا الهُوَينا أَنَامُ بَنِي أُمِّي بَعَينٍ قَرِيرَةِ
رَاجِعِينَ كَمَا سَرَى بِأَودِيَةٍ جَرْدَاء طَيفُ السَّكِينـةِ[81]

وتطالعُنا عندَ الشَّاعرينِ أبي ماضي والقَرَوِيّ نظرةٌ اجتماعيّةٌ للموتِ، فهما ينظرانِ للموتِ على أَنَّه مَيدَاناً للمُساوَاةِ بينَ البشرِ وهو ما يُعرَفُ بديمقراطيّةِ الموتِ، حيثُ لا يُفَرِّقُ الموتُ بينَ الغَنِيّ والفقيرِ، أو الملكِ والصّعلُوكِ، أو القويّ والضَّعيفِ. فأبوماضي في قصيدتِهِ «الشَّاعرُ والسُّلطانُ الجَائر» يُديرُ حواراً بديعاً بينَ السُّلطانِ والشَّاعرِ يَدْحَضُ فيه الشَّاعرُ ادّعَاءاتِ الملكِ التّي افتخرَ فيها بالرّياضِ والفنِّ والبحرِ العميقِ، والجيش الجَرَّارِ، والقصرِ والغاباتِ والنَّاسِ حتّى ادَّعى أَنَّهُ إلَهُ الكونِ، وبيّنَ فيه سُخريةَ الشَّاعرِ من هذه الادّعاءاتِ فيصدرُ الملكُ إثرَ هذه السُّخريةِ حُكماً بإعدامِ

79 رشيد أيوب، أغ ، 83.
80 رشيد أيوب، هي الدنيا، نيويورك: 1939، 73...
81 رشيد أيوب، الأيوبيات، 49.

الشَّاعرِ، وبعدَ موتِ الشَّاعرِ يموتُ الملكُ، ويلتقيانِ سَوِيّاً الشَّاعرُ والملكُ وجهاً لوجهِ، وحِينَئذٍ يُبْرِزُ الشّاعرُ موقفَهُ منَ الموتِ:

فِي حَومَةِ المَوتِ وظِلِّ البِلَى قَد التقَى السُّلطانُ والشَّاعرُ
هَذَا بِلا مَجْدٍ وَهَذا بِلا عَانَقَتِ ذُلٌّ فَلا بَاغٍ ولا ثَائرُ
الأسمَالُ تِلكَ الحِلَـى واصطَحَبَ المَقْهُورُ وَالقَاهِـرُ[82]

والموتُ حِينَ يكونُ مَيدَاناً للمُسَاوَاةِ لا يُفَرِّقُ بينَ أحدٍ، فهو عاصفةٌ تَعصِفُ بالجميعِ، بمن صَلحَ أو فسدَ، وبمن تَعِسَ أو سَعدَ:

وبِمَنْ أَذَابَ الحُبُّ مُهْجَتَهُ وَبِمَنْ تَأْكُلُ قَلْبَهُ الحَسَدُ
وَطَوَتْ مُلُوكاً مَا لَهُم عـدَدٌ فَكَأَنَّهُم فِي الأرضِ مَا وُجُـدوا[83]

ويرى الشَّاعرُ القَرَويُّ الموتَ نهراً جَارِفاً يَجْرِفُ المَمْلُوكَ وَالمَلِكَ، ولا يُمَيِّزُ بينَ الأقذَارِ والذَّهَبِ، يقول:

دَعْ مَن قَضَى وَادَّخِرْ دَمْعاً لِمُرْتَهَنٍ وَلا فإنَّهُ ذَاهِبٌ فِي إثرِ مَن ذَهَبا
تَقُلْ ذَاكَ مَمْلُوكٌ وَذَا مَلِكٌ فَالرَّجُلُ وَالرَّأسُ فِي حُكْمِ التُّرَابِ هبا
وَالمَوتُ مَا عَفَّ عَنْ عَبْدٍ وَلا مَلِـكٍ كَالنَّهرِ يَجتَرِفُ الأَقْذَارَ وَالذَّهَبَـا[84]

والشَّاعرُ شُكْرُالله الجُرّ الذّي رأى الموتَ عدواً يقطعُ عليه مَلَذَّاتِه ومُتَعِهِ ويُنْهِي أحلامَهُ وأمانيه، غير أنّ دعوتَهُ هذه ليست حُبّاً في الموتِ وشوقاً إليه بقدرِ ما هي كراهيةٌ وبغضٌ للموتِ وفزعٌ ورعبٌ منه، إنّه يدعو إلى الموتِ لِيُخَلِّصَهُ من عذاباتِ التَّفكيرِ فيه، فقد صارَ قلقُ الشَّاعرِ من الموتِ أفظعَ وَقْعاً وألماً على الشَّاعرِ منه، وقلقُ الموتِ كما يُعَرِّفُهُ تمبلر «حالةٌ انفعاليّةٌ غيرُ سارّةٍ يُعَجِّلُ بها تَأَمُّلُ الفردِ في وفاتِهِ هو»[85] يقولُ شُكْرُ الله الجُرّ:

قَلَقُ المَوتِ مُعَذِّبٌ لَيسَ يَدْرِي أينَ يَذْهَبُ
ضَاقَ صَدرُ الكونِ عَنــهُ حِينَ صَدر القبرِ أَرحَـبُ
كَيفَ لا يَطلُبُ بَعدَ اليَأسِ عَطْفَ المَقْبَرَة[86]

82 إيليا أبوماضي، الخمائل، 31.
83 إيليا أبوماضي، الخمائل، 32.
84 رشيد سليم الخوري، ديوان الشاعر القروي ،ج1 ، 244
85 أحمد محمد عبدالخالق، قلق الموت، الكويت: عالم المعرفة، عدد 111، 1987، 39 .
86 عمر الدقاق، شعراء العصبة الأندلسية، 274.

ويُمثِّلُ جبرانُ مع نعيمة حالةً خاصّةً ف تناولِهم للموتِ فهما لم يرتَهبا منه طِيلَةَ حياتِهما بل على العكسِ من ذلك نجدُهم يعتقدون أنّ الموتَ هو بدايةُ الحياةِ وأنّ الحياةَ هي أمُّ الموتِ وهما فى نظرتِهما تلك مُتَأثِّرينِ باعتناقِهم لمذهبِ تناسُخِ الأرواحِ وخُلُودِ الأرواحِ، فالرّوحُ عندهما خالدةٌ لا تَفْنَى، كما أنّ الموتَ عندهما وسيلةٌ رُقِيٌّ وسُمُوٌ للرّوحِ الإنسانيّةِ حيثُ تعودُ كَرَّةً ثانيةً في حالةٍ أسمى وأنبل من حالتِها الأولى، وجبرانُ يعترفُ أنَّ نظرتَهُ تختلفُ عن نظرةِ أولئكَ الأرضيينَ الذّين يؤمنون بفناءِ الرّوح والجسدِ دونَ رحمةٍ، وهم بذلك يعيشون في رهبةٍ ورُعْبٍ من الموتِ، أمّا هو فلا مُبَرِّرَ لخوفِهِ مادامَ سيحيا حياةً أُخرَى أفضل من حياتهِ الأولى، يقول:

والمَوتُ في الأرضِ ابنُ الأرضِ خَاتِمَة ... ولِلأثِيرِي فَهُوَ البَدْءُ وَالظُّفْرُ
فَمَنْ يُعَانِق في أَحْلامِهِ سِحْراً وَمَنْ ... يَبْقَ ، وَمَن نَامَ كُلَّ اللَّيلِ يَنْدَثِرُ
يُلازِمْ تُرْباً حَالَ يَقْظَتِـهِ ... يُعَانِقُ التُّرْبَ حَتّى تَخْمَدَ الزَّهرُ[87]

فهو يرى أنَّ الرّوحَ باقيةٌ لا تفنى بفناءِ الجسدِ، ولكنّها تهجعُ كما يهجعُ الجَنِينُ داخلَ البذورِ، ثُمَّ تعودُ لِتُبْعَثَ من جديدٍ في حياةٍ أُخْرَى:

وَغَايَةُ الرّوحِ طَيّ الرّوحِ قد خَفَيتْ ... فَلا المَظَاهِرُ تُبدِيها ولا الصُّورُ
والجِسمُ لِلْرّوحِ رَحِمٌ تَسْتكِنُّ بِهِ ... حَتَّى البُلُوغِ فَتَسْتَعْلِي وَيَنْغَمِرُ
فَهِي الجَنِينُ وَمَا يَوم الحِمَامِ سُوَى ... عَهدِ المَخَاضِ فلا سِقْطٌ ولا عُسُرُ
لَكِنَّ في النَّاسِ أشباحاً يُلازِمُهـا ... عُقْمُ القِسَى التّي ما شَدَّها وَتَـرُ[88]

وفى موضع أخر يرى الموت شفاء من جنون حياته وافكاره التى أنهكت قواه ونغصت حياته:

تِلكَ حَالِي ، فإذا قَالتْ رَحِيلْ ... ما عَسَى حَلَّ بِهِ؟ قَالوا : الجُنُونْ
وإذا قالت أَيَشْفَى وَيَـزولْ ... ما بِهِ ؟ قُولُوا :سَتَشْفِيه المُنُـــونْ[89]

من أجلِ هذا خلقَ جبرانُ لنفسِهِ عالماً مثاليّاً تتلاشى فيه كُلُّ الثُّنائياتِ وتَنْمَحِي منه كُلُّ المُتَنَاقِضاتِ ويَتَخَلَّصُ فيه من كُلِّ المُنَغِّصَاتِ، هذا العالمُ هو عالمُ الغابِ الخالي من صُورِ الموتِ والقبورِ، يقول:

87 جبران خليل جبران، المواكب، القاهرة: المقطم، 1923، ا، 28.
88 جبران خليل جبران، المواكب، .27،26.
89 جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، القاهرة: دار الفرجاني، 1984، 302.

لَيسَ في الغاباتِ موتٌ لا ولا فيها القُبُورْ
فإذا نيسانُ وَلَّى لَمْ يُمِتْ مَعَهُ الشُّرُورْ
إنَّ هَولَ الموتِ وَهْـمٌ يَنْثَنِي طَيّ الصُّـدُورْ[90]

وميخائل نعيمة لا يشغله الموتُ كإفناءٍ للجسدِ بقدرِ ما يشغله إفناءُ الرّوحِ. فالرّوحُ هي الشُّغلُ الشَّاغِلُ لنعيمةَ وهي التّي أدارَ حولها فلسفتَهُ ومؤلفاتَهُ، وهو عندما يسيرُ بينَ الجماجمِ يتساءلُ في حيرةٍ عنِ الرّوحِ سِرِّ الحياةِ، أين تذهب بعد الموتِ؟ أهي تفنى مع فناءِ الجُسُومِ؟ أم أنّها من الهواءِ صعدَت إلى باريها وخالقِها تَخَلُّصاً من الهَمِّ والشَّقاءِ؟ أم أنَّها كامنةٌ إلى حِين؟ أم أنّها من الهواءِ فعادت إليه؟

حَدِّيثِيني عن نسمةٍ جَعَلتْ آ يا دمَ حيّاً وكانَ تُراباً وَمَاءَ
لها نسمة أرتنا بَصِيصاً ما في ظلامِ البَقَا فَزِدْنا عَمَاءَ
لَبِسَنا الحياةَ حتَّى لَبِسْنا نسمةُ في ثَنَايا ثَوبِ الحَيَاةِ الَفنَاءَ بعدَ
الله أينَ أينَ استقرّتْ أإلى أنْ عادتِ الجُسُومُ هَبَاءَ ؟
صَدرِ خَالِقِ الكونِ آبَتْ أَطَوَتْها تَحْمِلُ الهَمَّ والأسى والشَّقَاءَ أمْ
الأقدارُ لَكِنْ لِحِينٍ؟ هواءً كانتْ فَعَادَتْ هواءَ؟[91]

ولكن سرعانَ ما وجدَ نعيمةُ شِفاءَهُ ودواءَهُ في تناسُخِ الأرواحِ حيثُ عودةِ الرّوحِ ورُجُوعِها وخلودِها في هذا العالمِ الأثيريّ. فالرّوحُ التّي تشغلُ شاعرَنا تَتَنَاقَلُ بينَ الجُسُومِ والأجيالِ في خُلُودٍ دائمٍ وأبديّةٍ هادئةٍ، وهو ينشدُ على لسانِ العَجُوزَينِ:

إنْ شِئتَ مُتْ لِتَحْيا أو عِشْ لِكَي تَمُوت[92]

وهو يرى أنّ الموتَ بقاءٌ:

عَرَفْنا بأنَّ الفَنَاءَ بَقَاءْ
وأنَّ الحَيَاةَ قُبُورٌ تَدُورْ[93]

90 جبران خليل جبران، المواكب، 28.
91 ميخائيل نعيمة، همس الجفون، بيروت: مؤسسة نوفل، ط5، 1988، 100 .
92 ميخائيل نعيمة، بيروت: مرداد، دار صادر، 1959، 27.
93 ميخائيل نعيمة، همس الجفون، 68.

وقد راحَ يسعدُ ويطربُ بتحرُّرِ روحِهِ وخلاصِها من سجنِ جسدِهِ قائلا:

غداً أَجُوزُ حُدُودُ السَّمعِ وَالبَصَرِ
فَأُدْرِكُ المُبْتَدَأَ فِي خَبــَـري
فلا كواكبٌ إلّا كَانَ لِي سُـبُلُ
فيها ولا تربةٌ إلّا بها أَثَـري
فِي القضاءِ قَضَاءٌ والمُنُونُ مُنًى
وفي مُلاءَمَةِ الأقدارِ لي قَدرِي[94]

وهو حينما يخاطبُ أوراقَ الخريفِ الزَّابلةَ المُتساقطةَ يخاطبُها باطمئنانٍ لأنّها بموتِها تُجَدِّدُ نفسَها، يقول:

عُودِي إلى حُضْنِ الثَّرَى وَجَدِّدِي العُهُودْ
وانسي جمالاً قد ذَوَى كَمْ ما كانَ لن يَعُودْ
أَزْهَرَتْ من قَلْبِكِ فلا وَكَمْ ذَوَتْ وُرُودْ
تَخَافِي ما جَرَى مَن قَد ولا تَلُومِي القَدَرا
أَضَاعَ جَواهِــراً يَلْقَاهُ فِي اللُّحُــودْ
عُودِي إلى حُضْنِ الثَّرى[95]

4. فلسفة التَّنَاسُخِ والتَّقَمُّصُ:

نتجَ من مُعَاناةِ شعراءِ المهجرِ لقضيةِ الموتِ وخوفِهم منَ العدمِ والفناءِ وبحثِهم عن الخلودِ والبقاءِ أن اعتنقوا مذهباً يتلاءم ورغبتِهم في الخُلُودِ والتَّجدُّدِ وهو مذهبُ تناسُخِ الأرواحِ، فقد تنتقلُ الرّوحُ من جسدٍ إلى جسدٍ آخر، وبه يتغلّبُ المرءُ على الخوفِ من الفناءِ ويتحرَّرُ من أسرِ الجَسَدِ وَعُبُودِيَّتِهِ للرّوحِ، وهو مذهبٌ تعودُ أصولُهُ إلى الفكرِ الهنديّ والفارسيّ، ويُعَدُّ جبرانُ ونعيمةُ أكثرَ شعراءِ المهجرِ اعتناقاً لهذا المذهبِ، وعليه وعلى مذهبِ وحدةِ الوجودِ قامتِ الفلسفةُ الجبرانيّة،[96] وفكرُ نعيمة.[97]

94 ميخائيل نعيمة، همس الجفون، 109.
95 ميخائيل نعيمة، همس الجُفُون، 49.
96 راجع فى ذلك كتابيه ''النبي'' و''حديقة النبي''.
97 قصة لقاء، وكتبه ''مذكرات الأرقش'' و''زاد المعاد'' و''المراحل'' و''مرداد.''

وقد عبّرَ نعيمةُ عن فلسفتهِ تلك في أكثرِ من قصيدةٍ، فهو يرى أنّ الأرواحَ تتجدَّدُ، وبذلك يحيا أسلافُنا فينا، ونحن نحيا بهم، فالإنسانُ أبداً خالدٌ ومُتجدِّدٌ، يقول:

قُلْ أطعنا في كُلِّ ما قد فَعَلْنا صَوتَ دَاعٍ إلى الوُجُودِ دَعَانا قَد
فَجَنَينا مِنَ الحَيَاةِ وَلَكِنْ أَعْدْنا إلى الحَيَاةِ جَنَانا وَشَربنا
وَأَكَلْنا مِنها وَلَكِنْ أَكَلْنا لُحُومَنا وَدِمَانا وتركنا كؤوسَنا
وَمَضَينا ، وَلا نُدَامَةَ فينـا لِسُوانـا[98]

وعلى هذا المذهبِ تدورُ قصيدتاه «أوراقُ الخريف»[99] و«الحَائكُ[100] فهما رمزٌ على تَجدُّدِ الإنسانِ وعودتِهِ، وتبدو روحُ هذا المذهبِ عندَ فرحاتٍ في قصيدتِهِ «السّكَةُ الخَاليةُ»حيثُ يتخيّلُ فرحاتٌ أنّ حُبَّهُ لفتاتِهِ قديمٌ جدّا، وأنّ هذا الحُبَّ قد مَرَّ بأطوارٍ كثيرةٍ فيها التَّنَاسُخُ والحُلُولُ:

ألا تَذْكُرينَ بأنّا وُجِدنا مُحِبَينِ قَبلَ وُجُودِ الغَزَل
تَحَوَّلَت فِي الرَّوضِ مِن زَهرةٍ وكنتُ إلى نَخلَةٍ لا تَطِيقُ الكَسَل
رفيقاً في الانقلابِ وفاجأنا وعونَكَ عندَ ازديادِ العَمضل
الموتُ يوماً فَنِمْنَا فَصَيَّرَنا اللهُ وكانَ مَمَاتاً قَصِيرَ الأَجَل
زَوجَينِ حَمَامٍ أخيراً خُلِقْتُ نُغَنِّي الضُّحَى وَنُغَنِّي الطّفل
بِشَكلٍ امـرئٍ يُقَلِّبُ بينَ نُيُوبِ الوَجَـل[101]

وأبو ماضي الذّي أنكرَ الخُلُودَ في أكثر من موضعٍ نراه يعتنقُ التَّناسُخَ والتَّقَمُّصَ، بل عَدَّهُ أحدُ الباحثين أكثرَ شعراءِ المهجرِ إيماناً بفكرةِ التَّناسُخِ، وقد أحصى قصائدَهُ التّي عبَّرَ خلالها عن فكرتِهِ فوجدها سِتَ قصائد[102] تدورُ كُلُّها حولَ محورٍ دلاليٍّ واحدٍ، أنَّ الإنسانَ خالدٌ وباقٍ لا يَبِيدُ، فإذا ماتَ تَحَلَّلَ في التُّربَةِ وفي الهواءِ، وتجدَّدَ في غيرِهِ منَ الأحياء.[103]

98 ميخائيل نعيمة، همس الجفون، 79.

99 ميخائيل نعيمة، همس الجفون، 47.

100 ميخائيل نعيمة، همس الجفون، 138.

101 إلياس فرحات، الربيع، 150.

102 القصائد هى «ريح الشمال « «قطر الطل»والإله الثرثار، و الناسكة، و الدمعة الخرساء، وهى على الترتيب فى الجداول، 34، 90،103،124،187، والقصيدة السادسة ''لم يهدم الموت إلا هيكل الطين'' ديوان تبر وتراب.

103 خالد حسن علي حين، النَّزعة الصّوفية فى شعر المهجر، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 151،152 .

وقد حاول أبوماضي باعتناقِهِ لفلسفةِ التَّناسُخِ والتَّقمُّصِ أن يُقَدِّمَ لنا تبريراً مقبولاً وحَلًّا مُقْنِعاً لمشكلةِ فناءِ الإنسانِ وموتهِ وزوالِهِ وتلاشيهِ، وهو عندَهُ وسيلةٌ للتَّسريةِ والتَّصبُّرِ والاطمئنانِ لُملاقَاةِ مأساةِ الموتِ، فنراه عندما تجزعُ محبوبتُهُ من مصيرِها بعدَ الموتِ يُصَبِّرُها بفكرتِهِ قائلاً:

لا تَجْزَعي فَالموتُ ليسَ يَضِيرُنا إنَّا ... فلنا إيابٌ بَعدَهُ وَنُشُورُ
سَنَبقَى بعدَ أنْ يَمْضِي الوَرَى ... ويَزُولُ هذا العَالَمُ المَنْظُورُ
فَسَتَرْجِعِينَ خَمِيلَةً مِعْطَارةً أو ... أنا في ذُرَاها بُلْبُلٌ مَسْحُورُ
جَدْوَلاً مُتَرَقْرِقاً مُتَرَنِّماً أو ... أنا فيه مَوجٌ ضَاحِكٌ وَخَريرُ
تَرْجِعِينَ فَرَاشَةً خَطَّارَةً أو ... أنا في جَنَاحَيِّها الضُّحَى المَوشُورُ
نسمةً أنا هَمْسُها وَحَفِيفُها أو ... أبداً تَطُوفُ في الرُّبَى وَتَدُورُ وَقَنَاعَةٍ
نَلْتَقِي عِندَ الكَثِيبِ عَلَى رِضَىً ... صَفْصَافَةٌ وَغَدِيــرُ[104]

وقد أرجعَ مؤلفا كتابِ (الشِّعرُ العربيّ في المهجرِ) شُيُوعَ فكرةِ التَّناسُخِ عندَ أبي ماضي إلى تَأَثُّرِه بالنَّزعَةِ الخَيَّاميَّةِ تَأَثُّراً شديداً، وبفلسفةِ الخيّامِ ورأيِه في رجعةِ الإنسانِ وتجدُّدِهِ وخُلُودِهِ وإنكارِهِ ثُنَائيّةِ الدُّنيا و الآخرةِ.[105]

ورُبَّما يظهرُ هُنا تناقضٌ واضحٌ وظاهرٌ في موقفِ الشَّاعرِ من قضيّةِ الخُلُودِ فهناك أنكرَها وهنا يُقِرُّها، غير أنّي لا أرى بين الموقفين تناقضاً، بل على العَكْسِ أَرَاهما مَوقِفَينِ لِفِكْرةٍ واحدةٍ هي حُبُّ الشَّاعر للحياةِ والتَّمسُّكُ بها ورغبةٌ في عدمِ فِرَاقِها والانقطاعِ عن مَلَذَّاتِها ومُتَعِها بالموتِ، كما أنّ الخُلُودَ الذّي أنكرَهُ أبوماضي هو الخُلُودُ النَّاتِجُ من موتٍ يتبعُهُ فناءٌ ثُمَّ بعثٌ يتبعُهُ خُلُودٌ مجهولُ النَّعيمِ، أمَّا الخُلُودُ الذّي يُقِرُّهُ مع فلسفةِ التَّنَاسُخِ والتَّقَمُّصِ فهو خُلُودُ النَّعيمِ الدُّنيويّ الذّي خَبرهُ الشَّاعرُ وأحبَّهُ وأستمتعَ به وهو لا يودُّ تركَهُ ومُفَارَقَتَهُ.

على أنَّ أخذَهُم بمذهبِ التَّناسُخِ ووحدةِ الوجودِ هو نِتَاجُ تَأَثُّرِهم بالفكرِ الغربيّ الذّي لا يخضعُ لسلطانِ الدِّينِ، ولا يأخذُ بتعليلاتِهِ وتفسيراتِهِ في قضايا الوجودِ.

104 إيليا أبوماضي، الجداول، 180،181.

105 راجع فى ذلك: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، الشعر العربى فى المهجر، بيروت: دار صادر، ط9، 1967 ، 110.

5. الموتُ (الصُّوفيُّ) خلاصٌ للرّوحِ ودُنُوٌّ من أنوارِ الله:

في هذه الدَّرجةِ من قبولِ الموتِ والدِّعوةِ إليه ارتقى شاعرُ المهجرِ قِمَّةَ السُّلَّمِ الصُّوفيّ، وهو في هذه الحالِ لا يطلبُ الموتَ خلاصاً منَ آلامِ الدُّنيا وشقائها أو من مُعَانَاةِ المرضِ أو الفقرِ وإنَّما رغبةً لخلاصِ الرّوحِ وتَحَرُّرِها وانعتاقِها من أسرِ الجسدِ الطِّينيّ لِتَصعَدَ إلى عالِمِها العُلْوِي حيثُ تدنو وتقتربُ من أنوارِ الذّاتِ العَلِيّةِ، والموتُ في هذه الحالةِ ليس موتَ فناءٍ، وإنّما هو فناءٌ لبقاءٍ عندئذٍ يتشوقُ الإنسانُ إلى الموتِ، يأنسُ به ويطلبُهُ ويبحثُ عنه، والموتُ عندَ الصُّوفيّةِ ليس هذا المعنى الضّيقَ المَألُوفَ الذّي هو انتهاءٌ لحياةِ الإنسانِ في هذه الدُّنيا، ولحدَهُ في قبرٍ مُظلِمٍ مُخِيفٍ إلى يومِ السَّاعةِ، وإنَّما هو انعتاقُ الرّوحِ من أسرِ الجسدِ ورغائبِهِ ونزعاتِهِ الفانيةِ، والدُّنيا وزينتِها الباليةِ إلى عالمٍ أكثر انفساحاً ورحابةً، أكثرَ نوراً ونعيماً هو عالمُ النَّعيمِ الدّائمِ والخُلُودُ الأبديّ، لذلكَ رأينا الصُّوفيّةَ يُنَاجُون الله طلباً للموتِ حتّى يَتِمُّ لهم الوصولُ إليه والفناءُ فيه، يقولُ الحَلّاجُ:

فها أنا في حَبْسِ الحَيَاةِ مُمَنَّعٌ عنِ الأُنْسِ فَاقْبِضْنِي إليكَ مِنَ الحَبسِ[106]

وقد جمعَ القُشَيرِيُّ في رسالتِهِ الكثيرَ منَ مواقف المُتَصَوِّفَةِ تِجَاهَ الموتِ وكيفَ كانوا يطلبونه بِكُلِّ شوقٍ وحرارةٍ[107] قِيلَ للجُنَيدِ: إنّ أبا سعيدٍ الخَرَّار كانَ كثيرَ التَّوَاجُدِ عندَ الموتِ، فقال: لم يكن بعجيبٍ أنْ تطيرَ روحُهُ اشتياقاً،[108] وقِيلَ لبعضِهِم: أتُحِبُّ الموتَ؟ فقالَ: القُدُومُ على مَن يُرْجَى خَيْرُهُ مِن البقاءِ معَ مَن لا يُؤْمَنُ شَرُّهُ، [109] ولمّا حَضَرَت أبا سعيدٍ الخَرَّار المَنِيّةُ قالَ في آخرِ أنفاسِهِ:

حَنِينُ قُلُوبِ العَارِفِينَ إلى الذِّكْرِ وَتِذْكَارُهُم وَقْتُ المُنَاجَاةِ لِلْسِّرِّ
أُدِيرَتْ كُؤوسٌ لِلْمَنايا عَلَيهِم فَأَغْفُوا عَنِ الدُّنيا كَإِغْفَاءِ ذِي السُّكْرِ
هُمُومُهم جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ بِهِ أَهْلُ وِدِّ الله كالأَنْجُمِ الزُّهرِ
فَأَجْسَامُهُم فِي الأرضِ قَتْلَى بِحُبِّهِ فَمَا وَأَرْوَاحُهُم فِي الحُجُبِ نَحْوَ العُلا تَسْرِي وَمَا
يَمْرُسُوا إلّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِم عَرَجُوا عَنْ مَسِّ بُؤسٍ ولا ضَرِ[110]

106 ماسينون، كراوس، أخبار الحلاج، باريس: مطبعة العلم، ب،1936، 58 .
107 عبدالكريم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق، عبدالحليم محمود، محمود الشريف، القاهرة: دار المعارف، 1995، ج2، 476.
108 عبدالكريم القشيري، الرسالة القشيرية، 470.
109 عبدالكريم القشيري، الرسالة القشيرية، 473.
110 عبدالكريم القشيري، الرسالة القشيرية، 469.

وشاعرُ المهجرِ قد وصلَ إلى هذه الدَّرجةِ مِنَ الاشتياقِ إلى الموتِ مُحَرِّراً ومُخَلِّصاً للرّوحِ من ظُلمَةِ الجسدِ، وقيودِ المادّةِ، يقولُ فوزي المعلوف داعياً للموتِ ومُرَحِّباً بهِ:

والآنَ يا مَوتُ إلىّ اقتَـرِبْ يَا حَبَّذَا بِالمُوثَقِ المُعْتِقِ
مُعْتِقُ نَفْسِي مِن قُيُودِ الأَسَـى مُوثِقُ جِسْمِي في المَدَى الضَّـيـقِ[111]

والموتُ عندَ نِعْمِة الحَاجِ هو نفسُهُ عندَ الصُّوفِيّةِ، فهو ليس فناءً لحياةٍ بل هو ميلادٌ لحياةٍ أُخرَوِيّةٍ، يقول:

فَوِلادَتِي بَدْءُ المَمَا تِ وَيَومُ مَوتِي مَولِدِي[112]

ويرى مسعودُ سَمَاحَة أنَّ الموتَ ارتقاءٌ للنُّفُوسِ لِتَصِلَ بهِ إلى رَبِّها:

فَالمَوتُ مَرْقَاةُ النُّفُوسِ لِرَبِّها وَهُنَا يَزُولُ شَقَاءُ جِسْمِ المُتعَبِ[113]

لقد آمنَ شاعرُ المهجرِ بحقيقةِ الموتِ والحِكمَةِ منه فهو مُخَلِّصٌ للرَوحِ من شوائبَ وعوالق الجسدِ، ومُحَرِّرٌ لها من قيودِ وأغلالِ المُتعِ الدُّنيويّةِ الزَّائفةِ، ومُؤْنِسٌ لِغُربَتِها في هذا العالمِ الأرضيّ الطِّينيّ الذّي يُخَالِفُها في الطَّبيعةِ والتَّركيبةِ، يقولُ رشيدُ أيوب مُخَاطِباً الدُّنيا:

قُولِي بِأنّي قَد رَحَلْتُ إلى حَيثُ الحِمَامِ يَفُكُّ أَغْلالِي[114]

ونَسيبُ عَريضَة يَرَى أنَّ الحياةَ سَجنٌ و أسرٌ للرّوحِ، وأنَّ الموتَ هو المُنقِذُ والمُحَرِّرُ والمُنَجِّي لها من هذا الأسرِ، وهو يرى من خلال الموتِ أنوارَ الخُلُودِ لذا فهو يَطلُبُ منه أنْ يُطفِئَ سِرَاجَهُ ويَسْدِلَ السّتَارَ على حياتِهِ.

ابسِطْ يَدَيكَ وحُلَّ أَسْ رَ الرّوحِ مِن هذا الرُّفَاتِ
قَد كُنْتُ فِي أَسْرٍ وَلَمْ أَفْقَهْ وَقَدْ حَانَتْ نَجَاتِي
إنّى أَرَى نُورَ الخُلُودِ يُضِيءُ فِي كُلِّ الجِهَاتِ
فَأَطْفِئ سِرَاجِي وَأَسْـدِلْ السِّتْرَ الأَخِيرَ عَلَى حَيَاتَـي[115]

111 فوزي المعلوف، ديوان فوزى المعلوف، 117.
112 نعمة الحاج، (ديوان نعمة الحاج)، نيويورك: المطبعة التجارية السورية الأمريكية، د ت، ج1، 102.
113 مسعود سماحة، (ديوان مسعود سماحة)، بروكلن: مطبعة جريدة السمير، الولايات المتحدة الأمريكية، د ت، 79.
114 رشيد أيوب، الأيوبيات، 42.
115 نسيب عريضة، الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، 218.

وهو يَتَعَجَّلُ الموتَ حيثُ تسطعُ شمسُ الخُلُودِ، وتَغْرُبُ شمسُ الحياةِ الوَهْمِيّةِ.

أَشَمسَ الحَيَاةِ ، اغرُبِي ولا تُمْهِلِينى لِغَدْ
فَمَا حَاصِلٌ مَطْلَبِي وَلَو طَالَ عُمْرِي الأَبَــدْ
. . . . .
أشمسَ الحَيَاةِ أَسْرِعِي أشمس وَغِيبِي فَأَنْتِ خَيَالْ
الخلود اسطعى إليك ، إليــك المـآلْ[116]

والموتُ عندَ الشَّاعرِ القَرَوِيّ هو الرَّاحَةُ والسَّعَادةُ، فهو المَمَرُّ إلى الحياةِ الخالدةِ الباقيةِ، وعن طريقِهِ نَصِلُ إلى التَّوحُّدِ مع الإلهِ والبقاءِ مَعَهُ والفناءِ فيهِ، يقول:

اغرُبِي يا شمسُ عَنِّي وَاغمُرِينِي بِالظَّلامِ
وَدَعِينِي أَضَعُ الرِّجلَ على شَطِّ السَّـــــلامِ
. . . . . .
فَالْمُسِي جَفْنِي يَا كَفَّ الحِمَامِ النَّاعِمَـةْ
أَرِقَتْ عَينَاى طُوبَى لِلْعُيُونِ النَّائمَـةْ
مَا تُرَى أَرْحُوهُ فِي عَيشِي مِن هذا السَّهرْ
إنَّما اللَّذَّةُ فِي الدُّنيا اشتهاءُ فَضَجَـرْ
أنا أَشْتَاقُ لَذَّاتِ الخُلُودِ الدَّائمَـةْ[117]

هكذا انتهى صِرَاعُ شاعرِ المهجرِ مع الموتِ من خوفٍ منه وفزعٍ، إلى قبولِهِ بِوَصْفِهِ خَلاصاً لَهُ من عذاباتِ الدُّنيا وشَقَائها، إلى انتظارِهِ والاشتياقِ إليه بِوَصْفِهِ مَرْقَاةً إلى العالمِ العُلْوِيّ السَّمَاوِيّ حيثُ الوصولِ إلى أنوارِ الله والفناءِ فيها والنَّعيمِ الخالدِ بها.

116 نسيب عريضة، الأرواح الحائرة، 161.

117 رشيد سليم الخوري، ديوان الشاعر القروي، ج1، 311.

الخاتمةُ

إنَّ هذه النَّظَراتِ المُتَفَاوِتَةَ التّي دَأَبَ شُعرَاءُ المَهْجَرِ عَلَى إرسالِها بِصَدَدِ قَضِيّةِ المَوتِ، وسواءٌ أكانتْ قَاتِمَةً أَمْ بَاسِمَةً فَإنَّها تَعْكِسُ في الحَالَتَينِ مَدَى إلحَاحِ فِكْرِةِ المَوتِ عَلَى نُفُوسِ أُولَئكَ الشُّعَراءِ، وَمَرْجِعُ ذَلِكَ هِي المُعَانَاةُ التَّي لاقَاها شُعَرَاءِ المَهْجَرِ في كُلِّ مَرَاحِلِ حَيَاتِهِم في مَوطِنِهِم أَمْ مَهَاجِرِهِم، كَانَ أَشَدُّها عَلَيهِم الغُرْبَةَ بِنَوعَيّها: المَكَانِيَة وَالرّوحِيّة، وقد قَادَتهُم الغُربَةُ إلى حَنِينٍ لاعِجٍ مُسْتَعِرٍ بينَ جَوَانِحِهِم بِحَيثُ أصبحوا يَتَمثَّلُونَ في صورةِ الموتِ مُنتَهى الهُرُوبِ مِن أَسْرِ الوَاقِعِ المَرِيرِ، وَيَتَشَوَّقُونَ مِن خِلالِهِ الرَّاحَةَ الكُبْرى.

المصادرِ والمراجع

أبوالعزايم، طلعت عبدالعزيز. الرُّؤية الرُّومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1981م.

أبوماضي، إيليا. الجداول، (ديوان شعر)، بيروت: دار العلم للملايين، ط9، 1972م.

أبوماضي، إيليا. الخمائل (ديوان شعر)، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004م.

أيوب، رشيد. أغانى الدرويش (ديوان شعر)، نيويورك: المطبعة السورية الأمريكية، 1982م.

أيوب، رشيد. هى الدنيا،، نيويورك: 1939م.

بدوي، عبدالرحمن. الموت والعبقريّة، القاهرة: مكتبة النهضة، 1945م.

التّيس، خليفة محمد. الشَّابي وجُبرانُ، بيروت: دار الثقافة، 1976م.

جاد، حسن. الأدب العربى فى المهجر، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، 1963م.

الجُرّ، شُكر الله. بروق ورعود(ديوان شعر)، بيروت: دار الثقافة، طبعة أولى، 1971م.

الجُرّ، شُكر الله. أغانى الليل (ديوان شعر)، بيروت: دار الثقافة، 1961م.

جبران، جبران خليل. البدائع والطرائف، القاهرة: دار الفرجانى، 1984م.

جبران، جبران خليل.المَوَاكِبُ، القاهرة: طبعة المقطم، 1923م.

الحاج، نعمة. ديوان نعمة الحاج، نيويورك: المطبعة التجارية السورية الأمريكية، ج1، دت.

حدّاد، نُدرة. أوراق الخريف (ديوان شعر)، نيويورك: مطبعة طربيا، 1941م.

حسن، خالد حسن. النزعة الصوفية فى شعر المهجر، (دكتوراة)، جامعة عين شمس

حسن، محمد عبدالغني. الشِّعر العربيُّ في المهجر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1955م.

الخُوري، قيصر سليم. ديوان الشاعر المدني، دمشق: مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1966م.

الدّقاق، عمر. شعراء العصبة الأندلسية، (رسالة دكتوراه)، جامعة عين شمس.

الزبر، محمد بن الحسين. الموت في الشّعر الأموي، القاهرة: دار الأمين، دت.

عباس، إحسان،ونجم، محمد يوسف. الشِّعر العربيُّ في المهجر أمريكا الشمالية، بروت: دار صادر، ط2، 1967م.

عبدالدايم، صابر. أدب المهجر، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الاولى، 1993م

عبدالخالق، أحمد محمد. قلق الموت، الكويت: عالم المعرفة، عدد 111، 1987م.

عبدالشهيد، صموئيل. فوزي المعلوف، سيرته، أدبه، فنه، بيروت: مؤسسة نوفل، ط1، 1971م.

عريضة، نسيب. الأرواح الحائرة (ديوان شعر)، نيويورك: مطبعة جريدة الأخلاق، 1946م.

عمارة، إخلاص فخري. شعر شقيق المعلوف، دراسة فنيّة، (رسالة دكتوراه)، جامعة القاهرة: 1982م.

سليم، جورج ديمتري. إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، القاهرة: دار المعارف1977م.

سماحة، مسعود. ديوان مسعود سماحة، بروكلن، الولايات المتحدة الأمريكية: مطبعة جريدة السمير دت.

الشّابي، أبوالقاسم. أغاني الحياة (ديوان شعر)، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002م.

شورون، جاك.الموت في الفكر الغربيّ، جاك شورون، ترجمة، كامل يوسف حسين، مراجعة وتقديم، إمام عبدالفتاح، الكويت: عالم المعرفة، 1984م.

فرحات، إلياس. أحلام الراعي (ديوان شعر)، البيروت: الطبعة الثالثة، 1962م.

فرحات، إلياس. ديوان فرحات، سان باولو: مطبعة الشرق، 1932م.

فرحات، إلياس. الرُّباعيات، سان باولو، البرازيل: 1954م.

القُشَيريّ، عبدالكريم، الرِّسالةُ القُشيريّةُ، تحقيق، عبدالحليم،محمود،والشريف، محمود. القاهرة: دار المعارف، 1995م.

ماسينون، كرفوس. أخبار الحلاج (الحسين بن منصور)، نشر وتعليق، باريس: مطبعة العلم، 1936م.

المعلوف، شفيق. الأحلام (ديوان شعر)، بيروت: 1923م.

المعلوف، فوزي. ديوان فوزي المعلوف، بيروت: دار الريحاني، 1957م.

المعلوف، شفيق.ستائرُ الهَودَجِ (ديوان شعر)، سان باولو، البرازيل: 1975م.

المعلوف، شفيق. سنابل راعوث (ديوان شعر)، بيروت: دار مجلة شعر1961م.

المعلوف، رياض. خيالات (ديوان شعر)، سان باولو، البرازيل: 1945م.

المعلوف، رياض. الأوتار المتقطعة (ديوان شعر)، القاهرة: المطبعة العصرية، 1933م.

المُلثّم، البدويّ. شاعر الطيّارة، فوزي المعلوف، القاهرة: دار المعارف، 1953م.

الملائكة، نازك. قضايا الشّعر المعاصر، بيروت: منشورات دار الآداب، 1962م.

ميرزا، زُهير. ديوان إيليا أبوماضي، شاعر المهجر الأكبر، بيروت: دار العودة، دت.

النقاش، رجاء. أبوالقاسم الشابي شاعر الحب والثورة ،القاهرة: مكتبة الأسرة، 2003م.

نعيمة، ميخائيل. همس الجفون، بيروت: مؤسسة نوفل، الطبعة الخامسة، 1988م.

نعيمة، ميخائيل. مِرْدَادُ، بيروت: دار صادر1951م.

Kaynakça

Abbâs, İhsan ve Necm Muhammed Yûsuf. *eş-Şi'ru'l-Arabî fi'l-Mehcer (Kuzey Amerika)*. Beyrut: Dâru Sâdır, 2. Baskı, 1967.

Abduddâim, Sâbir. *Edebu'l-Mehcer*. Kahire: 1. Baskı, 1993.

Abdulhalik, Ahmed Muhammed. *Kalaku'l-Mevt*. Kuveyt: Alemu'l-Me'rife, sayı 111, 1987.

Abduşşehit, Samuil. *Fevzi el-Ma'luf, Siretuh, Edebuh, Fennuh*. Beyrut: Müessesetu Nevfel, 1. Baskı, 1971.

Ammare, İhlas Fahri. *Şi'ru Şekik el-Ma'luf*, *Dirasetun Fenniyye*. Doktora Tezi, Kahire Üniversitesi, 1982.

Arîda, Nesîb. *el-Arvâhu'l-Hâira (Dîvânu Şi'r)*. New York: Matbaatu Cerîdeti'l-Ahlâk, 1946.

Bedevi, Abdu'r-Rahmân. *el-Mevt ve'l-Abkeriyye*. Kahire: Mektebetu'n-Nahdeti, 1945.

Câd, Hasan. *el-Edebu'l-Arabî fi'l-Mehcer*. 1. Baskı. Kahire: Dâru't-Tıbâ'ati'l-Muhammediyye, 1963.

Cibran, Halil Cibran. *el-Bedai' ve't-Teraif*. Kahire: Daru'l-Fercani, 1984.

Cibran, Halil Cibran. *el-Mevâkib*. Kahire: Tab'atu'l-Maktam, 1923.

el-Cürr, Şükrullâh. *Buruk ve Ru'ud (Dîvânu Şi'r)*. 1. Baskı. Beyrut: Daru's-Sekafe, 1971.

el-Cürr, Şükrullâh. *Eğâni'l-Leyl*. Beyrut: Dârus's-Sekâfe, 1961.

ed-Dekak, Ömer. *Şu'arâ'u'l-Asebeti'l-Endelusiyye*. Doktora Tezi, Ayn Şems Üniversitesi.

Ebû Mâdî, İlya. *el-Cedâvil*, *(Dîvânu Şi'r)*. IX. Baskı. Beyrut: Dâru'l-İlmli'l-Melâyîn, 1972.

Ebû Mâdî, İlya. *el-Hamâil* (*Dîvânu Şi'r*). Kahire: el-Hey'etü'l-Âmme li-Kusûri's-Sekâfe, 2004.

Ebu'l-Azayim, Talat Abdulaziz. *er-Ru'yetu'r-Rumansiyye lil Mesiri'l-İnsâni inde'ş-Şairi'l-Arabi'l-Hadis*. Kahire: el-Hey'etu'l-Misriyyetu'l-Amme li'l-Kitab, 1981.

Eyyûb, Reşîd. *Eğâni'd-Dervîş*. New York: el-Matbaatü's-Sûriyyetü'l-Amrîkiyye, 1982.

Eyyûb, Reşîd. *Hiye'd-Dünya*. New York: 1939.

Ferhât, İlyâs. *Ahlâmu'r-Râî (Dîvânu Şi'r)*. 3. Baskı. Beyrut: 1962.

Ferhat, İlyas. *Divanu Ferhat*, Sao Paulo: Mektebetu'ş-Şark, 1932.

Ferhat. İlyâs. *er-Rubaiyat*. Sao Paulo, Brezilya: 1954.

el-Hac, Ni'met. *Ni'metu'l-Hâc Divanı*. Cilt 1. New York: el-Matbatu't-Ticariyye es-Suriyye el-Amrikiyye. ty.

Haddâd, Nudreh. *Evrâku'l-Harif (Dîvânu Şi'r)*. New York: Tarbiya Yayınevi, M. 1941.

Hasan, Halit Hasan. *en-Nez'etu's-Sûfiyye fi Şi'ri'l-Mehcer*. Doktora Tezi, Ayn Şems Üniversitesi.

Hasan, Muhammed Abdulgani. *eş-Şi'ru'l-Arabî fi'l-Mehcer*. Kahire: Mektebetu'l-Hanci, 1955.

el-Huri, Keyser Selim. *Divanu'ş-Şairi'l-Medeni*. Şam: Metabi'u Vizâreti's-Sekafe ve'l-İrşadi'l-Kavmî.

el-Kuşeyrî, Abdulkerîm. *er-Risâletü'l-Kuşeyriyye*, thk: Abdulhalîm Mahmûd. Kahire: Dâru'l-Maârif.

Mirza, Zuheyir. *Divanu İlya Ebu Madi, Şairu'l-Mehceri'l-Ekber*. Beyrut: Daru'l-Avde ty.

el-Ma'lûf, Fevzî. *Divanu Fevzî el-Ma'lûf*. Beyrut: Dâru'r-Reyhani, 1958.

el-Ma'lûf, Şefîk. *el-Ahlâm (Dîvânu Şi'r)*. Beyrut: 1923.

el-Ma'luf, Şefik. *Senabilu Raus* (*Dîvânu Şi'r*). Beyrut: Daru Mecelleti Şi'r, 1961.

el-Ma'luf, Şefik. *Setairu'l-Hevdec*, (*Dîvânu Şi'r*). Sao Paulo, Brezilya: 1975.

el-Ma'lûf, Riyâd. *el-Evtâru'l-Mutekette'etu*, *(Dîvânu Şi'r)*. Kahire: el-Matba'atü'l-Asriyye, 1933.

el-Ma'luf, Riyâd. *Hayalat*, (*Dîvânu Şi'r*). Sao Paulo, Brezilya: 1945.

Massignon-Kraus. *Ahbâru'l-Hallâc*, *(el-Huseyin b. Mansûr)*. Paris: Matba'atu'l-İlm, 1963.

el-Melaike, Nazik. *Kadaya'ş-Şi'ri'l-Mu'âsir*. Beyrut: Menşuratu Daru'l-Adab, 1962.

el-Mulessem, el-Bedevi. *Şairu't-Tayyare*, Fevzi el-Ma'luf. Kahire: Daru'l-Ma'arif, 1953.

en-Nekkaş, Reca'. *Ebu'l-Kâsim eş-Şâbî, Şâiru'l-Hubbi ve's-Sevre*. Kahire: Mektebetu'l-Usre, 2003.

Nuayme, Mîkâîl, *Hemsü'l-Cüfûn*, 5. Baskı. Beyrut: Müessesetü Nevfel, 1988.

Selim, Corc Demetri. *İlya Ebu Madi, Dirâsât Anhu ve Eş'âruhu'l-Mechûle*. Kahire: Dâru'l-Me'ârif, 1977.

Semahet, Mesut. *Divanu Mesut Semahet*. Brooklyn: Matba'atu Cerîdetu's-Sumeyir, ty.

eş-Şâbî, Ebu'l-Kâsim. *Eğânî'l-Hayat*, *(Dîvânu Şi'r)*. Kahire: el-Hey'etu'l-Âmmetu li Kusûri's-Sekâfe, 2002.

Şurun, Cak. *el-Mevt Fi'l-Fikri'l-Garbî*, çev. Kamil Yusuf Huseyin, Kontrol ve Sunuş: İmam Abdulfettah. Kuveyt: Alemu'l-Ma'rife, 1984.

et-Teys, Halife Muhammed. *eş-Şâbi ve Cübran*. Beyrut: Daru's-Sekafe, 1976.

ez-Zeber, Muhammed b. Huseyin. *el-Mevt fi'ş-Şi'ri'l-Emevi*. Kahire: Darul Emin, ty.